

زيدة

نصيحة الملوك

لحجة الإسلام الإمام الغزالي

علاء الكتب

نشر * توزيع * طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسني

تليفون : ٣٩٢٤٩٢٦

فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٢٨ ش عبد الخالق ثروت

تليفون : ٣٩٢٦٤٠١

ص.ب : ٦٦ محمد فريد

الرمز البريدي : ١١٤٦٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع : ٢٤٩٥ / ٢٠٠٠

ISBN : 977-232-202-1

سلسلة زبدة التراث: العدد رقم ٢

زبدة

نصيحة الملوك

لحجة الإسلام الإمام الغزالي

إعداد وتقديم

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

علاء الكتب

obeikandi.com

سلسلة « زبدة التراث »

تهدف هذه السلسلة فى المقام الأول إلى إحياء تراثنا الحضارى الدينى والعلمى بتبسيطه وجعله فى متناول يد الجميع، وخاصة شباب جيلنا المعاصر. وتقوم هذه السلسلة على أساس انتقاء زبدة نصوص شوامخ المؤلفات والمصنفات لأعلام الفكر العربى والإسلامى وإخراجها فى صورة موجزة لا تخل بل وتفى بالغرض الذى وضعت من أجله دون الإثقال على القارئ الكريم بالتفاصيل المطولة أو الحواشى المسهبة. وقد جاء الاختيار غير عشوائى أو تعسفى، لكى يرضى جميع الأذواق والاتجاهات وليكون مرآة صادقة لتراث حضارتنا الزاهرة وصانعيها على مر العصور، وإتاحة الفرصة للرجوع إلى الأصل الذى لا تغنى هذه الزبدة عنه بطبيعة الحال. فالغرض الأساسى لهذه السلسة هو تحبيب التراث إلى النفوس وتقريبه إلى الأذهان.

وستعتمد هذه السلسلة على أمهات الكتب المحققة بواسطة محققين ثبت، وكذلك على بعض المخطوطات عند الاقتضاء.

الناشر

obeikandi.com

تقديم

كتب الإمام أبو حامد الغزالي كتاب «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» في أواخر أيامه باللغة الفارسية وقدمه إلى السلطان السلجوقي محمد ابن ملكشاه (المتوفى سنة ٥١١ هـ). وترجم هذا الكتاب بعد ذلك إلى اللغة العربية على يد أحد تلامذة الإمام الغزالي^(١). كما ترجم إلى اللغة التركية على يد محمد بن علي المعروف بعاشق جلبي، وعلاتي بن محمد الشريف الشيرازي^(٢).

ولقد تعددت عناوين الترجمة العربية بتعدد القائمين بالترجمة، ومن هذه العناوين نذكر ما يلي: «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» (وهو الأشهر والأكثر تداولاً)، و«فريدة السلوك في نصيحة الملوك»، و«نصيحة الملوك والوزراء والأمراء»، الخ.

ويعالج هذا الكتاب الموضوعات السياسية والاجتماعية ومجتمع الحكم والسلاطين وحياة البلاط في العصر الذي عاش فيه الغزالي، وذلك في صورة نصائح ومواعظ ووصايا تهدف جميعها إلى إرشاد الحاكم في حكم الرعية وتبصيره بأمور الدولة وآداب السلوك والمعاملات القائمة على العدل والهداية والسياسة. فالسياسة من الدين، ولم يكن الدين

(١) صفى الدين علي بن مبارك الأربلي في القرون السادس الهجري.

(٢) انظر حاجي خليفة «كشف الظنون»، ١/ ٣٣٧.

منفصلاً عن السياسة كما أن السياسة لم تنفصل عن الأخلاق، وهي رأس مال الحاكم أو الملك. وقد كان علم السياسة في الإسلام يدخل ضمن العلوم العلمية، وصنف فيه العلماء المسلمون مؤلفات عديدة ابتداء من القرن الثالث الهجري، وكانت متأثرة في معظمها بالفكر السياسي الفارسي، ودارت كلها حول هداية الملوك والأمراء والحكام، وأطلق عليها اسم «الأداب السلطانية».

وقد قسم الغزالي كتابه «نصيحة الملوك» إلى مقدمة ذكر فيها أصول شجرة الإيمان وفروعها ومعرفة الدنيا وماهيتها ومعرفة النفس الأخير، وتناول في الباب الأول العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم. وعالج في الباب الثاني سياسة الوزراء وسيرهم، ثم ذكر الكتاب وآدابهم في الباب الثالث. أما الباب الرابع فقد خصصه للكلام عن سمو همم الملوك. وكرّس الباب الخامس والسادس للحديث عن الحكمة وما قالته الحكماء، وشرف العقل والعقلاء. وختم كتابه بفصل هام عن المرأة، وعن طرق تربيتها وفق الشريعة الإسلامية، معتبراً إياها عماد الأسرة وركيزة أساسية في بناء المجتمع.

نبذة عن الغزالي:

ولد أبو حامد الغزالي بمدينة طوس في أواسط القرن الخامس الهجري (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) في خراسان. وكان والده يغلز الصوف ويبيعه. وأظهر الغزالي منذ صغره نبوغاً حاداً، واجتهد وتعلم على كبار علماء عصره، ولازم إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في نيسابور، فبرع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة. وبعد موت إمامه الجويني، خرج الغزالي من نيسابور، وعينه السلطان نظام الملك أستاذاً في نظامية بغداد عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

وخلال إقامته في بغداد انصرف إلى التدريس والتأليف والتصنيف. ولكنه لم يستمر طويلاً على هذا الحال، إذ سرعان ما أملت به ثورة نفسية داخلية، وعزفت نفسه عن المناصب، فترك بغداد لقضاء فريضة الحج، وعرج بعدها إلى دمشق الشام عام ٤٨٩هـ. وأمضى الغزالي بدمشق عشر سنوات، عكف فيها على التأمل والتفكير في زاوية بالجامع الأموي. وانصرف إلى ترويض نفسه ومجاهدتها بالعبادة، ورجع إلى بغداد حيث عقد مجلساً للوعظ والتكلم على لسان أهل الحقيقة. واستدعى بعد ذلك إلى نيسابور، فدرس فيها مدة وجيزة، انتقل بعدها إلى طوس، مسقط رأسه، فتخذ إلى جنب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية. ووزع أوقاته بين التدريس ومجانس أهل العلم وجعل قسماً من وقته للعبادات والوعظ إلى أن مات بها عام ٥٠٥هـ/١١١١م^(١).

وللإمام الغزالي مؤلفات عديدة^(٢) أهمها:

- ١ - إحياء علوم الدين
- ٢ - أيها الوند
- ٣ - المنقذ من الضلال
- ٤ - تهافت الفلاسفة
- ٥ - كيمياء السعادة
- ٦ - كتاب المواعظ في الأحاديث القدسية^(٣).

(١) انظر ابن خلكان، ٥٨٦/١، وطبقات السبكي ١٠١/٤ ومفتاح السعادة لطاهر كبرى زاده ١٩١/١.

(٢) انظر تفاصيلها في معجم سركيس، ١٤٠٨/٢.

(٣) صدر بتحقيق، القاهرة، ١٩٨٨.

وقد صدر كتاب النصيحة الملوك في عدة طبعات منها طبعة حسن العدوي الحمزاوي عام ١٢٧٧هـ؛ وطبع كذلك بمطبعة الآداب والمؤيد عام ١٣١٧هـ، كما صدر بهامش كتاب سراج الملوك للطرطوشي (مصر ١٣٠٦هـ). وظهرت منه طبعة حديثة محققة بمعرفة الدكتور محمد أحمد دمّج، في بيروت، عام ١٩٨٧، اعتماداً على هذه الطبعات وعلى مخطوطتي الجامعة الأمريكية في بيروت والمكتبة الظاهرية في دمشق (انظر اللوحتين ١ و٢).

وبعد فالتقارئ لهذه النصائح سيلمس مدى احتفاظها بطابعها الفلسفي والعلمي في آن، وارتباطها المباشر بحياة الناس وتنظيم علاقاتهم ابتداء من الحاكم ومروراً بالعلماء وانتهاء بالمرأة ودورها في تربية الأولاد والمحافظة على أملاك الزوج. وكان هدف الإمام الغزالي من ذلك هو إقرار العدل والمساواة وحفظ حدود الدين وحقوق العامة، بل والمحافظة على بقاء النوع الإنساني واستكمال خط السير الذي بدأه الأنبياء والرسل الداعي إلى معرفة الله والإيمان بوحداية الخالق وقدرته وباليوم الآخر، وذلك تمهيداً لبناء المواطن الصالح من خلال إعداد الحاكم الفاضل، وإقامة دولة الحقوق والواجبات، وهي أمور تصلح لكل زمان ومكان، وهي وإن كانت تنطبق على الماضي فإنها تنطبق على الحاضر أيضاً.

والله ولي التوفيق،،،

دكتور

عبد الحميد صالح حمدان

كان نصيب المملوك

الموزرأة والولاية والورداء والولاء

نصف السبع الامام زين الدين حجة الاسلام
زين العابدين حسن الانام الي حامد الغزالي
رحمة الله عليه

نظر في هذا الكتاب المأثور العدل النبوي
اصع خلق الله والوجه للطفه الخفيف

الخفيف

اللوحة رقم (١ - ١)

محلان المهر في كونه نية و بالعلم النية نافورة

الانس اولامن لم يلب بايعا الروح منه بارخص الاثمان
وانذاك هاروت و يابيل منكس ومعلق بالذبح و جلد اعان
ولخص فروع آدم مع يوسف في محكم الذنن تلب بالعصيان
مجنون عامرهما من حب النساء في السند بار عجائب
النسواني

ككل البارة ومنهن تاني والوقا منهن لاياني مدا الا زمان

تم الكتاب

ولكم بئذ رحمة وصلوة على سيدنا محمد وآله صحبه

وسلمت

محمد بن عبد الله

بخر جمعك وما يعرفه في كونه و سائق الايمان بعد اوه من كونه
او الما اذ لا يرضى و نون برهانه عا من عا من كونه

بما اظهر في طريف و كونه و كونه و كونه و كونه
بما اظهر في طريف و كونه و كونه و كونه و كونه

قوله الذنن
الوقا منهن لاياني مدا الا زمان
الوقا منهن لاياني مدا الا زمان
الوقا منهن لاياني مدا الا زمان

٥٢

كتاب

التبر المنبوك في فضحة الملوك
قال ابن العلاء في كتابه
ابو حامد محمد بن محمد بن الخزاز
تقدم له في نسخة من كتابه
الى العربية

وكان اسمه العارسة ثم غلبت بي
على التفت

لما اذا تركت مع تمام هرت كلها
يذهب عنه ذراع من لونه وكس لونه
لا يصح انما كونه نفع واللون والحدام
يزول وجهه ان ان خصية يشد على العين
للمرورين وانه اذ اطلب به حتى يثبت شعور
دمه ان لا يتركه في يد محال في بلاد
وانت به اذا اعتقت على المعروف
ابراه

عبد
مشهور

نسخة داود

obeikandi.com

زبدة

التبر المسبوكة في نصيحة

المعروف

بنصيحة المعروف

obeikandi.com

أحمد لله على أنعامه وأفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ويعد...

فإنه سألني بعض المتقدمين من الكبراء أن أنقل له هذا الكتاب، وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية إلى الألفاظ العربية، وامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته. ولم أغير شيئاً من وضع الكتاب وصنعته، واجتهدت في تسهيل عباراته وإيضاح إشاراته قصداً لمستعمل الكلام، ليكون أقرب إلى الإفهام بقدر ما بلغته بلاغته وأفصحته عنه فصاحته. وترجمت عما استشهد به مؤلف الكتاب من الأشعار الفارسية إلى معانيها، وتلويحاً إلى مقاصدها ومغازيها.

وأنا أعتذر من تقصيري غاية الاعتذار إذ لم أكن من فرسان هذا المضمار. فليتجاوز عن تقصيري انكروءاء، وليصفح عن نقصه بفضلهم النعماء. ومن وحد في كلامه خللاً فستره أو أصاب زللاً فغيره، حاز بذلك جزيل الأجر وجميل الذكر. وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قال الشيخ الإمام زين الدين حجة الإسلام شرف الأئمة أبو حامد ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمة الله عليه، وهو يخاطب السلطان محمد بن ملكشاه رحمه الله: أعلم ياسلطان العالم وملك الشرق والغرب إن لله عليك نعماً ظاهرة وآلاء متكاثرة يجب عليك شكرها ويتعين عليك إذاعتها ونشرها. ومن لم يشكر نعم الله تعالى جل

ثناؤه وتقدست أسماؤه فقد عرّض تلك النعم للزوال، وخجل من تقصيره يوم القيامة. وكل نعمة تفتى بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب خطر لأن العمر وإن تطاولت مدته، لا ينفج طوله إذا انقضى عدده فإن نوحاً عليه السلام عاش ألف سنة ونيفاً، ومنذ موته إلى الآن خمسة آلاف سنة وكأنه لم يكن. فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام مدى الليالي والأيام. وهي نعمة الإيمان الحقيقية. فلم ترض من نفسك ما لا ترضاه من عبدك. فانو الصيام في ليلة الجمعة وإن أضفت إليه الخميس كان أولى وقم يوم الجمعة صباحاً واغتسل والبس من الثياب ما له ثلاث صفات: أن يكون جلالاً. وأن يكون مما تجوز فيه الصلاة، وأن لا يكون أبريسماً، وأن يكون في الصيف، الديقى والقصب والتوزرى والكتان. وفي الشتاء، الخز والقطن والصوف الرومى وكل ثوب على غير هذه الصفة فإن الله تعالى لا يرضاه.

وصلّ الصبح في جماعة ولا تتكلم إلى أن تطلع الشمس، ولا تحوّل وجهك عن القبلة وخذ السبحة في يدك وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله ألف مرة. فإذا طلعت الشمس فأمر قارئاً يقرأ عليك هذا الكتاب. وكذلك فليقرأ عليك في كل جمعة ليحصل في محفوظك فإذا فرغ من قراءة الكتاب، فصلّ أربع ركعات وسبح الله إلى وقت الضحى فإن ثواب هذه الصلوات عظيم وخاصة يوم الجمعة.

وبعد ذلك وإن كنت على تخت الإسلام أو كنت في الخلوة فقل:
اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد متواتراً. ومهما قدرت أن تتصدق في هذا اليوم فتصدق، واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الأسبوع لله تعالى ليجعل الله باقى الأسبوع مكفراً عنك.

١- ذكر أصول شجرة الإيمان

الأصل الأول - ابتداء قاعدية الإيمان:

أعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق. وهو خالق العالم وجميع ما في العالم وأنه واحد لا شريك له فرد لا مثل له. كان في الأزل وليس لكونه زوال. ويكون مع الأبد وليس لبقائه فناء. وجوده في الأزل والأبد واجب وما للعدم إليه سبيل، وهو موجود بذاته وكل أحد إليه محتاج، وليس له إلى أحد احتياج وجوده هو ووجود كل شيء به.

الأصل الثاني - في تنزيه الخالق تعالى:

أعلم أن البارئ تعالى ذكره ليس صورة ولا قالب، وأنه لا ينزل ولا يحل في قالب. وأنه تعالى منزّه عن الكيف والكم وعن ماذا ولم، وأنه لا يشبه شيئاً من الأشياء ولا يشبهه شيء. وكل شيء يخطر في الوهم والخيال والفكر من انتكيف والتمثيل فإنه منزّه عن ذلك لأن ذلك من صفات المخلوقين، وهو خالقها ولا يوصف بها. وأنه تعالى جده ليس في مكان ولا على مكان لأن المكان لا يحصره. وكل ما في العالم فإنه تحت عرشه وتحت قدرته وتسخيره، وأنه قبل خلق العرش كان منزهاً عن المكان، وليس العرش بحامل له، بل العرش وحملته يحملهم لطفه وكرمه وقدرته.

وإنه تقدّس عن الحاجة إلى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه .
وإنه متّصف بالصفة التي كان عليها في الأزل . ولا سبيل للتغيير
والانقلاب إلى صفاته ، وهو متقدّس عن صفات المخلوقين منزّه . وهو
في الدنيا معلوم وفي الآخرة غير مرئي كما نعلمه في الدنيا كذلك نراه
في الآخرة بلا مثل ولا شبه لأن تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا . ليس
كمثلته شيء وهو السميع البصير .

الأصل الثالث - في القدرته:

وإنه تعالى على كل شيء قدير وأن قدرته ومملكه في نهاية الكمال .
ولا سبيل إليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما يشاء يفعل وأن
السموات السبع والأرضين السبع والكرسى والعرش في قبضة قدرته
وتحت قهره وتسخيريه ومشيتته وهو مالك الملك ، لا ملك إلا مملكه .

الأصل الرابع - في العلم:

وإنه تعالى عالم بكل شيء معلوم وعلمه محيط بكل شيء . وليس
شيء من العلا إلا الثرى إلا وقد أحاط به علمه . لأن الأشياء جميعها
بعلمه ظهرت ، وبقدرته انتشرت . وإنه تعالى يعلم عدد رمال الفقار
وقطرات الأمطار ، وورق الأشجار وغوامض الأفكار وما دارت عليه
الرياح والهواء ، في علمه ظاهر مثل عدد نجوم السماء .

الأصل الخامس - الإرادة:

إن جميع ما في العالم بإرادته ومشيتته . وليس شيء من قليل أو كثير
أو صغير أو كبير خبير أو شر نفع أو ضرر زيادة أو نقصان . راحة أو تعب
صحة أو وصب إلا تحت تدبيره ومشيتته وتقديره ولو اجتمع الإنس

والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوها أو يزيدوها بغير إرادته وحواله وقوته لعجزوا ولم يقدرُوا على ذلك. وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يرد مشيئته شيء مهما كان ويكون، وما هو كائن فإنه بتدبيره وأمره وتسخيره.

الأجل السابع - في أنه سميع بصيرا:

وكما أنه عالم بجميع المعلومات إنه بصير بكل مرئي، وإن القريب والبعيد في سمعه متماثل. والضياء والظلام في بصره شيء واحد. وإنه يرى دبيب النملة في الليلة المظلمة ولا يخفى عنه شيء ولا يُغرب عن سمعه صوت الدودة تحت أطباق الأرض. وإن سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين. كما أن علمه لا يصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدة يقول لنشئه كن فيكون.

الأجل السابع - في الكلام:

إن أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب مهما أخبر به من وعد أو وعيد فإنه حق، وأمره كلامه. وكما أنه عالم مريد قدير سميع بصير، فهو متكلم وكلامه بغير خلق ولا لسان ولا فهم ولا أسنان. والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور والكتب والمنزلة على الأنبياء عليهم السلام جميعها كلامه. وكلامه صفته، وكل صفاته قديمة ولم تنزل. وكما أن الكلام عند آدمي حرفٌ وصوتٌ فكلام الله تعالى مقدس منزّه عن الحرف والصوت.

الأجل الثامن - في أفعاله تعالى:

وجميع ما في العالم مخلوق له. وليس معه شريك ولا خالق، بل

هو الخالق الواحد. ومهما خلقه من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعُدل منه. ولا يمكن الظلم من أفعاله لأن الظالم هو الذي يتصرف في ملك عين، والخالق تعالى لا يتصرف إلا في ملكه. وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لأحد عليه اعتراض بكم ولا بكيف. ولكن له في كل أفعاله الحكم والأمر. وما لأحد غير السنم والنظر إلى صنعه والرضا بقضائه.

الأصل التاسع - افي ذكر الآخرة:

وإنه تعالى خلق العالم من نوعين: من جسد وروح، وجعل الجسد متراً للروح لتأخذ زادا لأخرتها من هذا العالم. وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد. فأخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان، فإذا جاء الأجل فرّق بين الروح والجسد. وإذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه إلى جسده ليُجيب سؤال منكر ونكير. وهما شخصان هائلان عظيمان. فيسألانه من ربك؟ ومن نبيك؟ فإِن استعجم ولم يُجب! عذابه وملأى قبره حياتٍ وعقارب.

ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة تُردّ الروح إلى الجسد وتُنشر الصحف وتعرض الأعمال على الخلائق، فينظر كل إنسان في كتابه فيرى أعماله ويشاهد أفعاله ويعلم مقدار طاعته ومعصيته. وتوزن أعماله في ميزان الأعمال يؤمر بالجوّاز على الصراط، والصراط أدق من الشعرة وأحد من الشفرة. فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة الواضحة، عبّر على الصراط وجازه في راحة واستراحة وإن لم يكن على السيرة المحمودة والأعمال الرشيدة وعصى مولاها واتبع هواه فإنه لا يجد الطريق على الصراط

ولا يبتدئ إلى الجواز، ويقع في جهنم، والكفر يوقفون على الصراط
 ويسألون عن أفعالهم فيسأل تصدقون عن صدقهم ويمتنحون المنافقون
 والمرائون عن أفعالهم ويفتضحون. فمن الناس قوم يدخلون الجنة
 بغير حساب وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة، وجماعة يحاسبون
 بالمدقشة والصعوبة والحاققة. ثم يسحب الكفار إلى جهنم بحيث
 لا يجدون خلاصاً. ويدخل أهل الإسلام المطيعون إلى الجنة ويؤمر
 بالنعصاة إلى النار. فكل من نالته شفاعاة الأنبياء والعنساء والأكابر من
 الصالحاء والأولياء عفى عنه. وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار إثمه
 وعذب بمقدار جرمه. ثم يدخل الجنة إن كان قد سلم معه إيمانه إلى
 الآخرة.

الأصل العاشر - في ذكر رسول الله ﷺ :

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل أفعال الإنسان وأحواله
 واكتسابه وأعماله، منها ما هو سبب شقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته.
 والإنسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه. خلق الله تعالى بحكم
 فضله وقدرته ورحمته وطوله ومنته ملائكة. وبعثهم إلى أشخاص قد
 حكم لهم بالسعادة في الأزل، وهم الأنبياء صلوات الله عليهم.
 فأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة لتلا يكون
 للناس على الله حجة. وأرسل رسولنا محمداً ﷺ أخيراً. وجعله
 بشيراً ونذيراً وأوصل نبوته إلى درجة الكمال. فلم يبق للزيادة فيها
 مكان ولا مجال. ولهذا جعله خاتم الأنبياء عليهم السلام.

٢- ذكر فروع شجرة الإيمان

إعلم أيها السلطان إنه كلما كان في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد
فذلك أصل الإيمان. وما كان جارياً على أعضائه السبعة من الطاعة
والعدل فذلك فرع الإيمان. وإذا كان الفرع ذابلاً ذائياً دلّ على ضعف
الأصل، وإنه لا يثبت عند الموت. وعمل البدن عنوان إيمان القلب.

والأعمال التي هي فروع الإيمان هي: تجنب المحارم وإداء الفرائض،
وهما قسمان: أحدهما بينك وبين الله تعالى، مثل الصوم والصلاة
والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب والعفة عن الحرام. والآخر بينك
وبين الخلق وهو العدل في الرعية والكف عن الظلم. والأصل في ذلك
أن تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والأزدجار بزجره،
وما تختار أن تعمله عبيدك في حقتك. وأن تعمل فيما بينك وبين الناس
ما تؤثر أن يعمل معك من سواك إذا كان غيرك السلطان وكنت من
رعيته.

واعلم أنه ما كان بينك وبين الخالق سبحانه وتعالى فإن عفوه قريب.
وأما ما يتعلق بمظالم الخلق فإنه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم
القيامة، وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك إلا منك
عمل بالعدل والإنصاف. فإذا كان الأمر على ذلك فالأهم أن توضح
أصول العدل لتعلم كيف يطلب العدل والإنصاف منك يوم القيامة.
وأصول العدل والإنصاف عشرة:

أصول العدل والإنصاف

الأصل الأول: أن تعرف أولاً قدر الولاية وتعلم خطرها. فإن الولاية
نعمة من قام بحققها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده. ومن

قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى.

والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: عدل السلطان يوماً واحداً أفضل من عبادة سبعين سنة. وقال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ إلى ظل الله ولا يستظل بظله إلا سبعة أناس: سلطان عادل في رعيته. وشاب نشأ في عبادة ربه. ورجل يكون في السوق وقبفه في المسجد. ورجلان تحابيا في الله ورجل ذكر الله في خلوته فاذرى دمعته من مقلته. ورجل دعت امرأة ذات جمال وكمال مالت نفسه إليها وقال: إني أخاف الله. ورجل تصدق بيمينه ولم تشعر بها شماله. وقال عليه السلام: أحب الناس إلى الله وأقربهم إليه: السلطان العادل وأبغضهم إليه وأبعدهم عنه السلطان الجائر.

وقال عليه السلام: والذي نفس محمد بيده أنه ليرفع للسلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية. وكل صلاة يصلها تعدل سبعين ألف صلاة. فإذا كان كذلك، فلا نعمة أجل من أن يعطى العبد درجة السلطنة، ويجعل ساعة من عمره بجمع عمر غيره. ومن لم يعرف مدة هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه.

ومما يدل على عظم خطر الولاية ما روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بعض الأيام فلزم حلقة باب الكعبة، وكان في البيت نفر من قريش فقال: ياسادات عاملوا رعاياكم وأتباعكم بثلاثة أشياء: إذا سألوكم الرحمة فارحموهم وإذا حكموكم فاعدلوا فيهم واعملوا بما تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه

فرضاً ولا نفلاً. وقال عليه السلام: من يحكم بين خصمين بظلم فلعنة الله على الظالمين. وقال عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: سلطان كاذب، وشيخ زان، وفقير متكبر. يعنى أنه متكبر للطمع. وقال عليه السلام يوماً للصحابة رضى الله عنهم:

سيأتى عليكم يوم تفتحون فيه جانبى المشرق والمغرب ويصير فى أيديكم. فكل عمال تلك الأماكن فى النار إلا من اتقى الله سبحانه وتعالى وسلك سبيل التقوى وأدى الأمانة.

وقال عليه السلام: ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم إلا حرم الله عليه الجنة. وقال عليه السلام: من ولى أمر المسلمين ولم يحفظهم كحفظ أهل بيته، فقد تبرأ مقعده فى النار. وقال عليه السلام: رجلان من أمتى يحرمان شفاعتى: ملك ظالم، ومبتدع غال فى الدين متعدي فى الحدود. وقال عليه السلام: خمسة قد غضب الله عليهم وإن شاء أمضى غضبه ومصيرهم إلى النار، أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم. ورئيس قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوي والضعيف، ويحكم بالميل والمحابة. ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله، ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالي من أين يطعمهم. ورجل استأجر أجيراً فتمم عمله ولم يوفه أجرته. ورجل ظلم زوجته فى صداقها.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيع يوماً جنازة، فتقدم رجل وصلى على الجنازة. فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على قبره وقال: اللهم إن عذبتة فيحقتك لأنه قد عصاك، وإن رحمتة فإنه

فقير إلى رحمتك . وطوبى لك أيها الميت إن لم تكن أميراً أو عريقاً أو كاتباً أو عوانياً أو جنياً . فلما تكلم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس . فأمر عمر بن الخطاب بطلبه ، فطلب فلم يجد فقال عمر رضي الله عنه هذا أخضر عليه السلام .

وقال النبي ﷺ : ويل للأمرء وويل للمعرفاء وويل للعوانية فإنهم أقوام يعلقون في القيامة من السماء بدوائبهم وسحبون على وجوههم إلى النار يودون لو لم يعملوا عملاً قط . وقال عليه السلام : ما من رجل ولي أمر عشرة من الناس ولم يعدل فيهم إلا جرى به يوم القيامة ويده مغلولتان بغل إلي عنقه . فإن كان عمله صالحاً فك الغل عنه وإن كان سيئاً زيد عليه غل آخر .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء حين يلقاه ، إلا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يعل إلى أقاربه ولم يبدل حكماً خوفاً أو طمعا ولكن يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينيه ويحكم بما فيه .

وقال عليه السلام : يؤتى بالولادة يوم القيامة فيقول الله جل وعلا : أنتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة مملكتي في أرضي . ثم يقول لأحدهم : لم ضربت عبادي فوق الحد الذي أمرت به؟ فيقول : يارب لأنهم عصوك وخالفوك . فيقول جل جلاله : لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي . ثم يقول لآخر : لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به . فيقول : يارب رحمتهم . فيقول : كيف تكون أرحم مني! خذوا الذي زاد والذي نقص واحشوا بهما زوايا جهنم .

وقال حذيفة رضى الله عنه: أنا لا أثنى على أحد من الولاة سواء كان صالحاً أو غير صالح، لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة، فيوقفون على الصراط، فيوحى الله إلى الصراط أن ينفضهم إلى النار مثل من جار فى الحكم أو أخذ رشوة على القضاء أو انحاز سمعه لأحد الخصمين دون الآخر، فيسقطون من الصراط فيهبون سبعين سنة فى النار حتى يصلوا إلى قرارها.

وقد جاء فى الخبر أن داود عليه السلام كان يخرج فى الليل متنكراً بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل الناس عن سيرة داود سرّاً، فجاءه جبريل عليه السلام يوماً فى صورة رجل فقال له: ما تقول فى سيرة داود؟ فقال: نعم الرجل داود، إلا أنه يأكل من بيت المال ولا يأكل من كده وتعب يديه. فعاد داود عليه السلام إلى محرابه باكياً حزيناً فقال: إلهى علمنى صنعة أكل بها من تعبى وكذبى فعلمه الله تعالى الزرد.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى خيلاً يتداركه. وكان يقول: لو تركت عنزاً جرباه عنى جانب ساقية لم تدهن لحشيت أن أسأل عنها يوم القيامة.

فانظر أيها السلطان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واحتياطه وعدله وما وصل أحد من آدميين إلى تقواه كيف يتفكر ويتخوف من أهوال يوم القيامة، وأنت قد جلست لاهياً فى أحوال رعيتك غافلاً عن أهل ولايتك.

قال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته: كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر رضى الله عنه فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة وكان قد اغتسل وهو متلفع بإزار. فقلت: يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك؟ ربنى حسناتك جازاك؟ فقال: يا عبد الله كم لى منذ فارقتكم؟ فقلت: اثنتا عشرة سنة. فقال: منذ فارقتكم وأنا فى الحساب وخفت أن أهلك، إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم.

فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى درة.

حكاية

أرسل قيصر ملك الروم رسولا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك بل لنا أمير خرج إلى ظاهر المدينة. فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار. وقد وضع درته كالوسادة، وانعرق يسقط من جبينه إلى أن بل الأرض. فلما رآه على هذه الحالة، وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل تكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيئته وتكون هذه حالته لكنك يا عمر قد عدلت فأمنت فمنت وملكتنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا. أشهد أن دينكم لدين الحق، ولولا أننى أتيت رسولا لاسلمت، ولكن سأعود بعد هذا واسلم.

اعلم أيها السلطان أن خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم والمشرح فى ذلك طويل. ولا يسلم الوالى إلا بمقارنة علماء الدين ليعلموه طرق العدل ويسهلوا عليه خطر هذا الأمر.

الأصل الثاني: أن تشتاق أبداً إلى علماء الدين وتحرص على استماع نصيحهم وأن تحذر من ورثة علماء سوء الذين يحرصون على الدنيا فإنهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعاً فيما في يديك من خبيث الحطام ونسل الحرام ليحصلوا منه شيئاً بالمكر والحيلة. والعالم الصالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال. وينصفك من الوعظ والمقال.

وقيل: إن شقيقاً البلخي رحمه الله دخل على هارون الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد؟ فقال: أنا شقيق ولست بزاهد. فقال له: أوصني فقال: إن الله تعالى أجلسك مكان الصديق وأنه يطلب منك صدقة وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وإنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله. وأنه أقعدك مكان ذي النورين. وأنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب مثل حياته وكرمه وأقعدك موضع علي ابن أبي طالب وإنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه. فقال: زدني من وصيتك. فقال: نعم. اعلم أن لله تعالى داراً تعرف بجهنم وأنه قد جعلك بواباً لتلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال والسوط والسيف، وأمرك أن تمنع الناس من دخول النار بهذه الثلاثة. فمن جاءك محتاجاً فلا تمنعه من بيت المال ومن خالف أمر ربه فأذبه بهذا السوط. ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف بإذن ولي المقتول. فإن لم تفعل ما أمر ربك فأنت تكون الزعيم لأهل النار المتقدم إلى دار البوار. فقال له: زدني من الوصية. فقال: إنما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال في الأعمال كمثل السواقى. فإذا كان المعين صافياً لا يضره كدر السواقى. وإن كان المعين كدرأ لا يرفع صفاء السواقى.

خبر

خرج هارون الرشيد والعباس^(١) إلى زيارة الفضيل بن عياض^(٢) فلما وصلا بابه وجداه يتلو هذه الآية: ﴿ ثم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ومعنى الآية، أيظن الذين يكسبون اخطايا ويعملون الاعمال المذمومة، أن يساوى بينهم في الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون، كلا ساء ما يحكمون. فقال هارون إن كنا قد جئنا نطلب المرعظة فكفى بهذه المرعظة. ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب. فطرق بابه وقال: افتح الباب لأمر المؤمنين. فقال الفضيل: وما يصنع عندي أمير المؤمنين؟ فقال: اطع أمير المؤمنين وافتح الباب. وكان نيلاً والمصباح يتقد فأطفأه وفتح الباب. ودخل هارون الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل، فلما وقعت يده عليه قال: أوبل لهذه اليد الناعمة إن لم تنج من العذاب. ثم قال: يا أمير المؤمنين استعد جواب الله يوم القيامة فإنه يوقفك مع كل مسلم عنى حدة، ويطلب منك إنصافه. فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً فقال له العباس: مهلاً يا فضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل: يا هامان^(٣) أنت وقومك أهلكتموه، وتقول لى مهلاً فقد قتلته! فقال الرشيد للعباس: ما جعلك هامان إلا وقد جعلتني فرعون. ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقان له: هذه من وجه حلال من صداق أُمى وميراثها. فقال

(١) انظر الطبري، سراج الملوكة، ١٥٢، والابشهي، انظر، ١/ ١١٠، والحيدى الذهب السبوك، ص ٢١٢.

(٢) من أكابر العبادة الصالحا، ورواة الحديث. ولد في سمرقند، وعاش في مكة ومات بها (٧٢٣/١٠٥ - ٨٠٣/١٨٧)، الرركلى، الاعلام، ٥/ ١٥٣.

(٣) هامان وزير فرعون الذى طلب منه أن يبنى له صرحاً يصعد إليه ليرى إله موسى، القرآن الكريم، سورة ٢٨، الآية ٨.

الفضيل: أنا أمرك أن ترفع يديك عنها وتعود إلى خالقك، وأنت تلقيها إلى. ولم يقبلها وخرج من عنده.

وسأل عمر بن عبد العزيز^(١) محمد بن كعب القرظي فقال: صف لي العدل. فقال: كل مسلم أصغر منك سناً فكن له أباً، ومن كان أكبر منك فكن له ولداً، ومن كان مثلك فكن له أخاً. وعاقب كل مجرم على قدر جرمه. وإياك أن تضرب مسلماً سوطاً واحداً على حقد منك عليه فإنه يصيرك إلى النار.

حضر بعض الزهاد بين يدي خليفة الوقت فقال له: عطني فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أنني سافرت إلى الصين، وكان ملك الصين قد أصابه الصمم، وذهب سمعه فرأيت يوماً يبكي ويقول: ما أبكى لزوال سمعي، وإنما أبكى لأجل مظلوم يقضه بيابي ويستغيث، فلا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله الذي بصرى سالم. وأمر منادياً ينادي، كل من كانت له مظلمة فليلبس ثوباً أحمر وكان يركب الفيل كل يوم، وكل من رأى عليه ثوباً أحمر دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصمائه فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الكافر على عباد الله تعالى، وأنت مؤمن من أهل بيت الرسول ﷺ فانظر كيف تكون شفقتك على رعيتك.

وحضر أبو قلابة إلى مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ابن عبد العزيز: عطني. فقال: من عهد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا لم يبق خليفة سواك. قال: زدني. فقال: أنت أول خليفة تموت. فقال: زدني. فقال: إن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن لم يكن معك فإلى من تلجئ؟ قال: حسبي بما قلت.

(١) انظر سراج الملوك للطرطوشي، ص ٥٢.

وكان سليمان بن عبد الملك^(١) خليفة، فتفكر يوماً وقال: قد تنعمت في الدنيا طويلاً، فكيف تكون حالى في الآخرة. وانفذ إلى أبي حازم وكان أعلم أهل زمانه وأزهدهم. فقال: أبعث لى شيئاً من قوتك الذى تظفر عليه، فأنفذ له قليلاً من نخالة قد شواها وقال هذا فطورى فلما رأى سليمان ذلك بكأ وأثر فى قلبه الخشوع، فصام ثلاثة أيام وطوى ليليهاء، وأظفر الليلة الثالثة على تلك النخالة المسوية. فيقال إن فى تلك الليلة تعشى أهله، فأكل منها عبد العزيز، وجاء منه عمر بن عبد العزيز أوحده زمانه فى عدله وإنصافه وزهده وإحسانه. وكان عبد العزيز على طريقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وقيل إن ذلك ببركة نيته وصيامه وأكله من ذلك الطعام.

وسئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ما كان سبب توبتك؟ فقال: كنت يوماً أضرب غلاماً لى، فقال لى: أذكر تلك الليلة التى نكون صبيحتها القيامة. فعمل ذلك الكلام فى قلبى.

ورأى بعض الأكابر هارون الرشيد فى عرفات، وهو خاف حاسر قائم على الرمضاء احارة، وقد رفع يديه وهو يقول: إلهى أنت أنت، وأنا أنا، ذأبى كل يوم أن أعود إلى عصيانك، رددأبك أن تعود على مغفرتك ورحمتك. فقال: انظروا إلى تصرع جبار الأرض بين يدى جبار السماء.

وسأل عمر بن عبد العزيز يوماً أبا حازم الموعظة. فقال له أبو حازم: إذا تمت فضع الموت تحت رأسك، وكلما تختار أن يأتىك الموت وأنت مصرّ عليك فالزمه، وكلما لا تريد أن يأتىك الموت وأنت عليه فاجتنبه، فربما كان الموت منك قريباً.

(١) خليفة سليمان بن عبد الملك (٦٣ - ١٠١ هـ) نولى الخلافة سنة ٩٩ هـ.

فينبغى لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينه، وأن يقبل المواعظ التي وعظ بها غيره فكلما رأى عالماً سألته أن يعظه .

وينبغى للعالم أن يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرمهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم .

الأصل الثالث: أن لا تقنع برفع يدك عن الظالم . لكن تهذب غلمانك وأصحابك وعمالك ونوابك ولا ترضى لهم بالظلم . فإنك تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلم نفسك .

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عامله أبى موسى الأشعري، أما بعد . . . فإن أسعد الولاة من سعدت به رعيتة، وأشقى الولاة من شقيت به رعيتة، فإياك والتبسط فإن عمالك يقتدون بك . وإنما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضراً، فأكلت كثيراً حتى سممت، فكان سمنها سبب هلاكها، لأنها بذلك السمن تذيب وتوكل .

وفي التوراة مكتوب: كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك منسوباً إليه وأخذ به وعوقب عليه .

وينبغى للوالى أن يعلم أنه ليس أحد أشد غيباً ممن باع دينه وآخرته بدنياه غيره . وأكثر الناس فى خدمة شهواتهم، فإنهم يستنبطون الخيل ليصلوا إلى آدمى . وإن كان مقصودك أن تخدمك الناس فانت جاهل فى صورة عاقل، لأنك لو كنت عاقلاً، لعلمت أن الذين يخدمونك إنما هم خدم وغلمان لبطونهم وشهواتهم وفروجهم . وإنهم يجعلونك شركاً إلى تناول شهواتهم، وإن خدمتهم وسجودهم لأنفسهم لا لك . وعلامة ذلك أنهم لو سمعوا أرجافاً، بأن الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لأعرضوا بأجمعهم عنك . وفى أى موضع علموا أن الدراهم والدنانير فيه، خدموا وسجدوا لذلك الموضع .

فعلى الحقيقة، ليست هذه خدمة وإنما هي مضحكة. والعاقل من نظر في ازدواج الأشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها. وحقيقة هذه الأعمال ما ذكرناه وأوضحناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل، ومن لم يكن عاقلاً لم يكن عادلاً ومقره النار. فلهذا السبب كان رأس مال السعادات كلها العقل.

الأصل الرابع: إن الوالى فى الإغلب يكون متكبراً، ومن التكبر يحدث عليه انسخط الداعى إلى الانتقام والغضب. والغضب غول العقل وعذوه وآفته. وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الغضب فى ربع المهلكات. وإذا كان الغضب غالباً فينبغى أن تميل فى الأمور إلى جانب العفو وتتعود الكرم والتجاوز، فإذا صار ذلك عادة لك مائت الأتبياء والأولياء، ومتى جعلت إمضاء الغضب عادة مائت السباع والدواب.

حكاية

أمر أبو جعفر المنصور بقتل رجل والمبارك بن الفضل^(١) حاضراً فقال: يأمر أمير المؤمنين اسمع منى خيراً قبل أن تقتله. روى الحسن البصرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق فى صعيد واحد، نادى مناد، من كان له عند الله بدأ فليقم، فلا يقوم إلا من عفى عن الناس. فقال: أطلقوه فإنى قد عفوت عنه. وأكثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون فى سفك دمه.

قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا: إذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر الله، وإن قال كذباً فازدد شكراً، فإنه

(١) المبارك بن الفضل من فضالة البصرى، مولى قريش، وكان محدثاً ثقة ومن كبار الشك، توفى سنة ١٦٤هـ.

يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح . يعني أن حسناته تكتب في ديوانك .

وذكر عند رسول الله ﷺ فقيل إن فلاناً رجل شجاع . فقال كيف؟ فقالوا: يقوى بكل أحد وما صارح أحداً إلا صرعه . فقال عليه الصلاة والسلام: الشجاع من قهر نفسه، لا من صرع غيره .

وقال عليه السلام: ثلاثة من كانت فيه فقد كمل إيمانه . من كظم غيظه وأنصف في حال رضاه وغضبه وعفا عند المقدرة . وقال عمر ابن الخطاب: لا تعتمد على خلق رجلٍ حتى تجربه عند الغضب .

وخرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه يوماً إلى المسجد، فسبه رجل فقصده غلماًه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم زين العابدين عنه وقال: كفوا أيديكم عنه ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا أنا أكثر مما تقول وما لا تعرفه مني أكثر مما قد عرفته . فإن كان لك حاجة إلى ذكره ذكرته لك . فخبجل الرجل واستحي . فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم . فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ .

روى أن زين العابدين استدعى غلاماً له وناداه مرتين فلم يجبه . فقال له: أما سمعت ندائي قال: بلى . قال: فلم لا تجيبني؟ قال: أمنت منك وعرفت طهارة أخلاقك . فقال: الحمد لله الذي أمن مني عبيد . وروى عنه أيضاً أن له غلام فعمد إلى شاة فكسر رجلها، فقال له: لم فعلت ذلك؟ فقال: كسرتها عمداً لأغيبك فقال: يغضبني وأنا أغيب الذي علمت، وهو إبليس . اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى .

وروى أن رجلاً سبه فقال له زين العابدين: يا هذا بيني وبين جهنم

عقبة، إن أنا أجزتها فما أبالي بما قلت. وإن أنا لم أجزها فأنا أكثر مما تقول.

وقال رسول الله ﷺ: قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم المقائم، ويكون رجلاً يكتب في درجة الجائرين ولا راية له ولا حكم إلا على أهل منزله.

وقال عليه السلام: لجهنم باب لا يدخلها إلا من اتبع غضبه بما يخالف الشرع. ويروى أن إبليس لعنه الله رأى موسى، أعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لى من ربى حاجة. فقال موسى عليه السلام: وما الثلاثة؟ فقال: ياموسى، احذر من الحسد والغضب والخرد. فان الحسد يكون خفيف الرأس، وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من البخيل، فإنه أفسد على البخيل دينه وديناه. واحذر من النساء فإنى ما نصبت للمخلوق شركاً اعتمد عليه مثل النساء.

وقال رسول الله ﷺ: من كظم غيظه وهو قادر على أن لا يكتظمه ملائكة قلبه بالأمن والإيمان. ومن لم يلبس ثوباً طويلاً خوفاً من التكبير والخيلاء وقد أطاع الله، ألبسه الله تعالى حبل الكرامة.

وقال عليه السلام: ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى عليه. وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمنى عملاً أدخل به الجنة، قال: لا تغضب. فقال: وماذا. قال: استغفر بعد صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة. فقال: ما لى ذنوب سبعين سنة فقال: لأملك، قال: ما لأمى ذنوب سبعين سنة. قال: لأبيك. قال: وما لأبى ذنوب سبعين سنة، قال لأخوتك. قال: نعم.

وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يوماً يقسم مالا فقال رجل: ما هذه القسمة لله - يعنى ليست بإنصاف - فحكى ذلك لرسول

الله، فغضب واحمرّ وجهه ولم يقل شيئاً سوى أن قال: رحم الله أخي موسى، فإنه أودى فصبر على الأذى.

وهذه الجملة من الحكايات والأخبار تقع في نصيحة الولاية، إذا كان أصل إيمانهم ثابتاً أثر فيهم ذلك. فإن لم يؤثر ما ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلوّ قلوبهم من الإيمان، وأن ما بقي من إيمانهم إلا الحديث باللسان.

الأصل الخامس: إنك في واقعة تصل إليك وتعرض عليك تقدر أنك واحد من الرعية، وأن الوالى سواك. فكل ما لا يرضاه لنفسك لا ترضى به لأحد من المسلمين. وإن رضيت به لهم فقد خنت وغششت أهل ولايتك.

ويروى أن رسول الله ﷺ كان قاعداً يوم بدر في ظل، فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد أنت تعد في الظل وأصحابك في الشمس. فعوتب بهذا القدر. وقال رسول الله ﷺ من أحب النجاة من النار والدخول إلى الجنة، فعسى أن يكون بحيث إذا جاء الموت وجد كلمة الشهادة، وكل ما لا يرضى به نفسه لا يرضاه لأحد من المسلمين. وقال عليه السلام: من أصبح وفي قلبه هم سوى الله، فليس من الله في شيء، ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم.

الأصل السادس: أن لا تحتقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابك. واحذر من هذا الخطر. ومهما كان للمسلمين إليك حاجة فلا تشتغل عن قضائهم بتوافل العبادات، فإن قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادات.

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يوماً يقضى حوائج الناس. فجلس إلى الظهر فتعب، ودخل بيته ليستريح من تعب، فقال له ولده:

ما الذى يؤمنك أن يأتيك الموت فى هذه الساعة وعلى بابك منتظر
حاجة، وأنت مقصرٌ فى حقه. فقال: صدقت يا ولدى، ونهض فعاد
إلى مجلسه.

الأصل السابع: إنك لا تعود نفسك بالشهوات من لبس الثياب
الفاخرة، وأكل الأطعمة الطيبة، لكن تستعمل القناعة فى جميع الأشياء،
فلا عدل بلا قناعة.

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض الصالحين وقال: هل
رأيت من أحوالى شيئاً كرهته؟ فقال: سمعت أنك وضعت رغيفين على
مائدتك، وإن لك قميصين، أحدهما لليل والآخر للنهار. فقال: أغير
هذين شىء؟ قال: لا. فقال: والله أن هذين لا يكونان.

الأصل الثامن: إنه مهما أمكنك أن تعمل الأمور بالرفق واللطف فلا
تعملها بالشدة والعنف. قال رسول الله ﷺ: كل والٍ لا يرفق برعيته
لا يرفق الله به يوم القيامة. ودعا عليه السلام فقال: اللهم الطف بكل
والٍ يُلطف برعيته، وأعتف كل والٍ يعنف رعيته. وقال عليه السلام:
الولاية والإمارة حستان لمن قام بحقهما، وسيتان لمن قصر فيهما.

كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية فسأل يوماً أبا حازم،
وكان من العلماء فقال: ما التدبير فى النجاة من أمور الخلافة؟ قال: أن
تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال، وأن تضعه فى موضع حق.
فقال: ومن يقدر على هذا. قال: من يرغب فى نعيم الجنان، ويرهب
من عذاب النيران.

الأصل التاسع: أن تجتهد أن ترضى عنك جميع رعيته بموافقة

الشرع. قال رسول الله ﷺ لأصحابه: خير أمتي الذين يحبونكم
وتحبونهم، وشر أمتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم
وتلعنونهم.

وينبغي للوالى أن لا يفتخر بكل من وصل إليه وأثنى عليه، ويعتقد أن
جميع الرعية راضون عنه، فإن الذى يشى عليه من خوفه منه يشى عليه.
بل ينبغي أن يرتب معتمدين ليسألوا عن أحواله من الرعية
ويتجسسوا، ليعلم عيه من السنة الناس.

الأصل العاشر: أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع. فإن
من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه.

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: إننى أصبح كل يوم
ونصف الخلق على ساخطون. ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق أن
يسخط. ولا يمكن أن يرضى الخصمان. وأكثر الناس جهلاً من ترك رضا
الحق لأجل رضا الخلق.

كتب معاوية إلى عائشة رضى الله عنها أن عطينى عظة مختصرة.
فكتبت إليه تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أرضى الله فى
سخط الناس رضى الله عنه، وأرضى عنه الناس. ومن طلب رضى
الناس بسخط الله عليه مثل أن لا يأمرهم بالطاعة ولا يعلمهم أمور دينهم
ويطعمهم الحرام، ويمنع الأجير أجره والمرأة حقها، سخط الله عليه
وأسخط عليه الناس.

٢- بيان العينين اللتين بهما مشرب شجرة الإيمان

فإذا عرفت أصول شجرة الإيمان وعلمت فروعها، فاعلم أن هناك عينين تستمد الشجرة منها الماء.

العين الأولى:

معرفة الدنيا وماهيتها، ولم وجد فيها الإنسان.

واعلم أيها السلطان إن الدنيا منزلة وليست بدار قرار، والإنسان فيها على صورة مسافر، فأول منازلها بطن أمه، وآخر منازلها لحد قبره. وإنما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الإنسان فكالمرحلة، وكل شهر يتقضى عنه كاستراحة المسافر في سفره، وكل أسبوع كقرية يلقاها في طريقه، وكل يوم كفرسخ يقطعه، وكل نفس كخطوة يخطوها. ويقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة. وهذه الدنيا قنطرة، فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فنى زمانه فيها ونسى المنزلة التي إليها مصيره وهي مكانه، وكان جاهلاً غير عاقل. وإنما العاقل الذي لا يشتغل ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سماً قاتلاً ويتمنى أن تكون خزائنه وسائر ذخائره رماداً أو تراباً لا فضة ولا ذهباً، ولو جمع منها مهما جمع، فإنما يصيبه ما يأكله ويلبسه ويتصدق به لسواه. وجميع ما يخلفه يكون عليه حسرة وندامة، ويصعب عليه نزعها عند موته، فلحللها حساب وخرامها عقاب.

وإن كان قد جمع المال من حلال، طلب منه الحساب عليه، وإن كان قد جمعه من حرام وجب عليه العقاب، وكان أشد عليه من حسرته حلول العذاب به في حفرته.

ومع هذا جميعه، إذا كان إيمانه صحيحاً سالماً بحضرة الديان فلا وجه لياسه من الرحمة والرضوان. فإن الله غفور رحيم جواد كريم.

واعلم أيها السلطان، إن راحة الدنيا أيام قلائل، وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب، وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية، والملك الى لا فناء له ولا نهاية. فسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء.

نكته

لو كان للإنسان معشوقة وقيل له إن كنت في هذه الليلة تزورها فإنك لا تعود تراها أبداً، وإن صبرت عنها في هذه الليلة سلمت لك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب. فإنه وإن كان عشقه لها عظيماً وصبره عنها أليماً لكان يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة واحدة لينال قربها ألف ليلة. وهذه الدنيا ليست واحدة من ألف من مدة الآخرة، بل ليست بشيء من جنب الآخرة ولا شبه بينهما، لأن الآخرة لا نهاية لها، ولا يدرك بالوهم طولها.

وقد أفردنا في صفة الدنيا كتاباً، لكننا نقنع الآن بما نوره من أحوال الدنيا. وقد أوضحنا حالها على عشرة أمثلة وبالله التوفيق.

المثال الأول: في سحر الدنيا قال رسول الله ﷺ احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت^(١). وأول سحرها تريك أنها ساكنة عندك، مستقرة معك، وإذا تأملت خلتها ساكنة، وهي هاربة منك نافرة عنك على الدوام، دائماً تتسلسل على التدرج ذرة ذرة ونفساً نفساً. ومثل الدنيا كمثّل الظل، إذا رأيت حسبته ساكناً وهو يمر دائماً. فكذلك عمر الإنسان يمر بالتدرج على الدوام وينقص كل لحظة. وكذلك الدنيا تودعك وتهرب منك وأنت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر.

(١) ورد ذكرهما في القرآن، سورة البقرة، الآية ١٠٢. وكانا من كبار السحرة والمشعوذين الذين ضلّوا الناس وخذعوهم.

المثال الثاني: ومن سحرها أنها تظهر لك محبة لتعشقها، وتريك أنها مساعدة لك وأنها لا تتقل من عندك إلى غيرك، ثم تعود عدوة لك على غفلة. ومثلها كمثال امرأة فاجرة خداعة للرجال، حتى إذا عشقوها دعتهم إلى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم.

نقطة

رأى عيسى عليه السلام الدنيا في مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها: كم كان لك من زوج؟ فقالت: لا يحصون لكثرتهم. فقال: ماتوا عنك أم طلقوك؟ فقل: بل أنا قتلتهم وأفنيتهم. فقال: واعجباً لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسهواهم صنعت وهم فيك يرغبون، وعليك يقتلون، وبغيرهم لا يعتبرون.

المثال الثالث: ومن سحرها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها، وتخفي محنها ومقابحها في باطنها لتغر الجاهل بما يرى من ظاهرها. ومثلها مثل عجوز قبيحة المنظر، تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتزين وتجمل لتفتن الخلق من بعيد، فإذا كشفوا غطاءها أو خمارها وألقوا عنها إزارها، ندموا على محبتها لما شاهدوا من فضائحتها وعابوا من قبايحها.

وقد جاء في الخبر أن الدنيا يؤتى بها يوم القيامة، في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فتحت فاهها وكشرت عن أنيابها، فإذا رآها الخلائق قالوا: نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة. فيقال لهم: هذه الدنيا التي كنتم عليها تتحاسدون، ولأجلها كنتم تتحاذون وتسفكون الدماء بغير حق، وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها، ثم يؤمن بها إلى النار فتقول: إلهي أين أحبابي؟ فيؤمر بهم فيلقون معها في النار.

المثال الرابع: أن يحسب الإنسان كم كان في الأزل قبل أن يوجد في الدنيا؟ وكم يكون مدة عدمه بالموت؟ وكم قدر هذه المدة التي تكون بين الأزل والأبد؟ وهي مدة حياته في الدنيا. فيعلم أن مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهدي وآخره اللحد، وفيما بينهما منازل معدودة. وإن كل سنة كمزول، وكل شهر كفرسخ، وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائماً. فيبقى لواحد في طريقه فرسخ ولآخر أقل وآخر أكثر، وهو قاعد ذاهل وساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح، وقاض لا يتزح. وقد اشتغل بتدبير أعمال لا يحتاج إليها بعد عشرين سنة، وربما يحصل بعد عشرة أيام التراب.

المثال الخامس: اعلم أن مثل الدنيا وما يحتقب أهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة، كمثل إنسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين، إلى أن شكا هضمه وهاضت معدته. فرأى فضيحة من خلال معدته وتونة نفسه وكثرة برازه وحاجته، فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيخته. وكذلك كما ألف الإنسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب. ويبتلى بذلك عند نزع روحه وخروجها من بدنه، لأن كل من كانت له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار وغلمان وكرم وبستان، كان ألم فراق روحه عليه أصعب من ألم من ليس له إلا القليل. فإن ذلك الألم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد بالموت، لأن تلك المحبة صفة القلب بحاله لا يموت.

المثال السادس: اعلم أيها السلطان أن أمور الدنيا أول ما تبدو فيظنها الإنسان قريبة مختصرة، ويخال أن شغلها لا يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه مائة أمر وينفق فيه بضاعة العمر.

قال عيسى عليه السلام: طالب الدنيا كشارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. فلا يزال يشرب منه إلى أن يهلك ولا يروى.

وقال النبي ﷺ: كما لا يمكن لمن خاض البحر أن لا يناله البلل، كذلك لا يمكن من دخل في أمور الدنيا لا يتدنس.

المثال السابع: مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعى إلى مائدة، وعادة المضيف أن يزين داره للأضياف، ثم يدعو إليها قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج. ويضع بين يدي أضيافه طبقاً من ذهب مملوءاً بالجواهر، ومبخرة من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحتها. ثم يغادرون الطبق والمبخرة بحالهما لئلا يتركهما لغيرهم كما دعاهم. فمن كان عاقلاً عارفاً برسم الدعوات، وضع ذلك البخور على النار وتطيب وانطلق ولم يطمع أن يتناول المبخرة والطبق وتركهما بطيبة من قلبه وشكر لصاحب البيت وانصرف راشداً.

ومن كان أحمق أبله توهم أن ذلك الطبق والمبخرة قد أعدا له، وأنهم يريدون أن يهبوهما له. فلما هم بالخروج من الدار أخذ الطبق والمبخرة فاستعادوهما منه، فضاق صدره وتعجب قلبه، وطلب الإقالة إذ ظهر ذنبه.

فالدنيا كمثل دار الضيافة ليتزودوا منها لطريقهم، ولا يطمعوا بما في الدار.

المثال الثامن: مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة وإهمالها، كمثل قوم ركبوا مركباً في البحر، فعدلوا إلى جزيرة لأجل الطهارة، وقضاء الحاجة. فنزلوا إلى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لثلاث يفتوت الوقت، ولا تشتغلوا بغير الوضوء

والصلوات، فإن المركب سائرة. فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها. فالعقلاء منهم لم يمكثوا وأسرعوا في الطهارة وعادوا إلى المركب، فأصابوا الأماكن خالية، فجلسوا في أطهر أماكن وأرفعها، وأطيب مواضع وأوقفها. ومنهم قوم نظروا إلى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا ينتزهون في زهرها وأثمارها وروضاتها وأشجارها، ويسمعون طيب ترثم أطيابها. ويتعجبون من حصاها الملونة وأحجارها. فلما عادوا إلى المركب لم يجدوا فيه موضعا، ولا زاوية متسعا، فقعدوا في أضيق مواضعه وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنتزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة، وحملوها معهم إلى المركب فلم يجدوا مكانا، فقعدوا في أضيق المواضع وحملوا ما استصحبوه من تلك الحجارة على أعناقهم، ولم يمض يوم أو يومان حتى تغيرت ألوان تلك الحجارة واسودت، وفاحت منها أكره رائحة. فلم يجدوا مخلصا من الزحام ليلقوا ثقلها عن أعناقهم، فندموا على ما فعلوا إذا كانوا بتحصيلها اشتغلوا. ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتحيروا في الرجوع، ولم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا في أماكنهم وتخلفوا، إذ لم يصيحوا إلى المنادي ولم يسمعو. فمنهم من هلك من الجوع ومنهم أكلته السباع ونهشته الضباع.

فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون، والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم إلى الدنيا وركنوا إليها - كما قال جلاله: **لذلك بأنهم استحَبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة**». واطمأنوا بها - وأما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا أصل الإيمان ولم يكفوا أيديهم عن الدنيا، فمنهم من تمتع

بغناه ونعمته، ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته إلى أن نقلت أورارهم
وكثر أوساخهم وأوضارهم.

المثال التاسع: روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
يوماً: يا أبا هريرة، تريد أن أريك الدنيا؟ فقلت: نعم يا رسول الله.
فأخذ بيدي وانطلق حتى وقف على مزبلة فيها رؤوس من آدميين
ملقاة، وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الآدميين.
فقال: يا أبا هريرة هذه رؤوس الناس التي تراها، كانت مثل رؤوسكم
مملوءة من الخرص والاجتهاد على جمع الدنيا. وكانوا يرجون من طول
الأعمار ما ترجون، وكانوا يجدون في جمع المان وعمارة الدنيا كما
تجدون، فاليوم قد نعرت عظامهم وتلاشت أجسادهم كما ترى. وهذه
أخرق أثوابهم التي كانوا يتزينون بها وقت الرعونة والتزين، فاليوم قد
ألقتها الريح في النجاسات. وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها
أقطار الأرض. وهذه النجاسات كانت أظعمتهم اللذيذة التي كانوا
يحتالون في تحصيلها، وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها عنهم بهذه
الفضيحة التي لا يقر بها أحد من نثنها.

فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وترى. فمن أراد أن يبكى على
الدنيا فليبك، فإنها موضع البكاء. قال أبو هريرة: فبكى جملة
الحاضرين.

المثال العاشر: كان في زمن عيسى عليه السلام ثلاثة أنفار سائرين في
طريق، فوجدوا كتراً فقالوا: قد جعنا، فليمض أحدنا يشتري لنا طعاماً.
فمضى أحدهم ليأتيهم بطعام فقال: الصواب أن أجعل لهما في الطعام
سماً قاتلاً لياكلاه فيموتان وانفرد بالكثر دونهما. ففعل ذلك وسم

الطعام . واتفق الرجلان أنه إذا وصل إليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالمكز
دونه . فلما وصل الطعام قتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا ، فاجتاز عيسى
بن مريم بذلك المكان ، فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت
هؤلاء وبقيت بعدهم . ويل لطالب الدنيا .

كما يسمع في الأخبار ، السلطان ظل الله في أرضه . فينبغي أن تعلم
أن من أعطاه الله درجة الملك وجعله ظله في أرضه فإنه يجب على
الخلق محبته ، ويلزمهم متابعتة وطاعته ، ولا يجوز لهم معصيته
ومنازعتة . قال الله تعالى : **ايا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله الرسول
وأولى الأمر منكم .**

فينبغي على كل من آتاه الله الدين أن يحب الملوك والسلاطين ، وأن
يطيعهم فيما يأمرون ، ويعلم أن الله تعالى يعطى السنطنة والمملكة وأنه
يؤتى ملكه من يشاء . وقوله تعالى : **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير .**

٤ - في العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم

اعلم وتيقن أن الله جل اسمه اختار من بنى آدم فريقين وهم :
الأنبياء عليهم السلام ، والملوك . فأما الأنبياء فأرسلهم ليبينوا للعباد على
عبادته الدليل ، ويوضحوا لهم إلى معرفته السبيل . واختار الملوك
ليحفظوا العباد من اعتداء بعضهم على بعض وملكهم أزمة الظالم شزم
لا يبقى ملكه ولا يدوم لأن النبي ﷺ يقول : **الملك يبقى مع الكفر
ولا يبقى مع الظلم .** وفي التواريخ أن المجوس ملكوا أمور العالم أربعة
آلاف سنة وكان الملك فيهم . وإنما دامت لهم المملكة بعدلهم بين الرعية

وحفظهم الأمور . وإنهم كانوا يرون الجور والظلم في ملتهم غير جائر .
وعمروا بعدلهم البلاد وأنصفوا العباد . وقد جاء في الخبر أن الله جل
جلاله وتقدسست أسماؤه أوحى إلى داود عليه السلام أن إنه قومك عن
سب ملوك العجم ، فإنهم عمروا بلادى وأرطنوها عبادى .

فينبغى أن تعلم أن عمارة الدنيا وخرابها من الملوك . فإذا كان السلطان
عادلاً عمرت الدنيا وأمنت الرعايا كما كانت في عهد ازدشير^(١) .

حكاية

كان موسى عليه السلام يناجى ربه على الطور فقال في مناجاته:
إلهى أرنى عدتك وإنصافك . فقال له : يا موسى أنت رجل جاد وجريء ،
لا تقدر أن تصبر فقال : أقدر على الصبر بتوفيقك . فقال : اقصد العين
الفلانية واخترف بازائها ، وانظر إلى قدرتى وعلمى بالغيوب . فمضى
موسى عليه السلام ، وصعد إلى تل وقعد متخفياً وإذا بفارس قد أتى
ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب منها وحل من وسطه هميان فيه
ألف دينار ذهب ووضعته إلى جانبه ، وصلى ثم ركب ونسى الهميان فى
مكانه ومضى . فجاء بعد الصبى شيخ أعمى فشرب من الماء وأخذ الهميان
ومضى . فجاء بعد الصبى شيخ أعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف فى
الصلاة فإذا بالفارس ذكر الهميان ، فعاد من طريقه إلى العين فوجد
الشيخ الأعمى فلزمه وقال له : إنى نسيت همياناً فيه ألف دينار ذهب ،
وما جاء إلى هذا المكان أحد سواك فقال له الشيخ : أنا رجل أعمى كيف

(١) هو ازدشير بن بابك من بنى ساسان ، عمل بخدمة جوهر ملك اصطخر ، فعظم شأنه وتمكن
من قتل سيده جوهر وأخذ نأجه . وقام بفنوحات عديدة ودانت له جميع مدن فارس ،
واشتهر بعدته وإنصافه . انظر تاريخ الطبرى ، ٤٧٦/١ - ٤٨١ . وتاريخ ابن الأثير ١/٢٢١ .

أبصر هميانك . فغضب الفارس من ذلك وجرّد سيفه وضرب به الأعمى
فقتله وفتشه فلم يجد الهميان، فتركه ومضى .

فقال موسى عليه السلام: إلهي قد نفذ صبري وأنت عادل، فعرفني
كيف هذه الأحوال؟ فهبط جبريل عليه السلام وقال له: الباري جلت
قدرته يقربك النسلم ويقول لك: أنا علام الغيوب، أعلم الأسرار وأعلم
ما لا تعلم .

أما الصغير الذي أخذ الهميان فإنه أخذ حقه، وكان أبو هذا الصغير
أجيراً لذلك الفارس واجتمع له عنده بقدر ما في الهميان، ولم يوصله
إياه ومات أبو الصبي فالآن فقد وصل الصبي حقه .

أما ذلك الشيخ الأعمى فإنه قبل أن يعصى قتل أبا ذلك الفارس، فقد
اقتص منه ووصل كل ذي حقه . وإنصافنا دقيق كما ترى .

فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر .

وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء أن الله جل ذكره لا يخفى عليه
شيء، وأنه ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة . ولكن نحن غافلون إذا
جاءنا البلاء لا نعلم من أين جاء .

سئل ذو القرنين أي شيء من مملكتك أنت فيه أكثر سروراً . فقال
شيئين: أحدهما، العدل والإنصاف . والثاني، أن أكافئ من أحسن إليّ
بأكثر من إحسانه .

وقال النبي ﷺ: إن الله يحب الإحسان في كل شيء حتى أنه
يحب إنساناً ذبح شاة فحدّها لها المدينة ليعجل خلاصها من ألم الذبح .

وقال عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لم يخلق الله

تعالى في الأرض شيئاً أفضل من العدل. والعدل ميزان الله في أرضه فمن تعلق به أوصله إلى الجنة.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن للمحسنين منازل في الجنة حتى المحسن إلى أهله وأتباعه. وقال قتادة في تفسير هذه الآية: ألا تطفئوا في ميزان. قال أراد به العدل. فقال: يا ابن آدم، اعدل كما تحب أن يُعدل فيك.

وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض أوحى إليه أربع كلمات فقال: يا آدم علمك وعلم ذريتك على هذه الكلمات وهي: كلمة لي وكلمة لك. وكلمة بيني وبينك. وكلمة بينك وبين الناس. أما الكلمة التي لي فهي أن تعبدني ولا تشرك بي شيئاً. وأما الكلمة التي لك فهي أجازيك بعملك. وأما التي بيني وبينك، فمنك الدعاء ومنى الإجابة. وأما التي بينك وبين الناس، فهو أن تعدل فيهم وتصف بينهم.

قال قتادة: الظلم ثلاثة أضرب. ظلم لا يغفر لصاحبه، وهو الشرك بالله تعالى. قال تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم». وظلم لا يدوم فهو ظلم العباد بعضهم لبعض. وظلم يُغفر لصاحبه، فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب الذنوب، ثم يرجع إلى ربه ويتوب. فإن الله تعالى ومته.

وينبغي أن يكون الملك ديناً محبباً للدين. فالدين والملك توأمان مثل أخوين ولدا في بطن واحد. فيجب أن يهتم الملك بأمور الدين ويؤدى الفرائض في أوقاتها ويتجنب الهوى والبدعة والمنكر والشبهة وكل ما يرجع بنقصان الشرع. وأن علم أن ولايته من يتهم بدينه ومذهبه أمر بإحضاره وتهديده وزجره ووعيده. فإن تاب وأتاب سلم، وإلا وقع عليه

العقاب ونفاه عن ولايته، ليطهر الولاية من أعوانه ويدعته وتخلو من أهل الأهواء. ويعز الإسلام ويستديم عمارة الثغور بإنفاذ العساكر والحماة إليها ويجهد في إعزاز الحق وإعادة رونق السنة النبوية والسيرة المرضية، لتحمد عند الله طريقته، وتعظم في الخلق هيئته وتخاف سطوته أعداؤه، ويعلو قدره وبهاؤه ومنزلته ويكبر في عين أصداده، ويعظم عند أنداده. ويجب أن يعلم أن صلاح الناس في حسن سيرة الملك.

فينبغي للملك أن ينظر في أمور الرعية. ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيقها ولا يشارك رعيته في الأشياء المذمومة والأفعال المشؤومة. ويحب عليه احترام الصالحين وأن يثيب على الفعل الجميل ويمنع عن الفعل الرديء الوبيل. ويعاقب على ارتكاب الفحاح ولا يحابي من أصر على المعصية، ليرغب الناس في الخيرات ويحذروا من السيئات. ومتى كان السلطان بلا سياسة، وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده، أفسد أموره في سائر بلاده.

وقالت الحكماء: إن طباع الرعية نتيجة طباع الملوك، لأن العامة يخلون ويرتكبون الفساد اقتداء منهم بملوكهم، فإنهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم. ألا ترى في التاريخ أن الوليد بن عبد الملك من بني أمية كانت همته في العمارة والزراعة. وكان سليمان بن عبد الملك همته في كثرة الأكل وتطيب المطعم، وقضاء الأوطار وبلوغ الشهوات. وكانت همة عمر بن عبد العزيز في العبادة والزهد.

وقال محمد بن علي بن الفضل: ما كنت أعلم أن أمور الرعية تجري على عادة ملوكها، حتى رأيت الناس في أيام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور.

ورأيتهم فى زمان سليمان أخيه قد اهتموا بكثرة الأكل وطيب الطعام، حتى كان الرجل يسأل صاحبه أى لون اصطنعت. وما الذى أتيت؟ ورأيتهم فى أيام عمر بن عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة، وتفرغوا لتلاوة القرآن وأعمال الخيرات وإعطاء الصدقات. لتعلم أن فى كل زمان تقتدى الرعية بالسلطان ويعملون كأعماله ويقتدون بأفعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وإدراك الإيرادات كما جاء فى الحكاية.

حكاية

ذكروا أنه فى زمن كسرى أنو شروان الملك العادل ابتاع رجل من رجل أرضاً فوجد فيها كنزاً. فمضى إلى البائع وأخبره بذلك، فقال البائع: إنما بعثت أرضاً بما فيها، والذى وجدته فهو لك ومبارك عليك. فقال المشتري لا أريده ولا أطمع فيه. فترافعا بهذه الدعوى إلى الملك العادل. ففرح كسرى أنو شروان بذلك وقال لهما: هل لكما أولاد؟ فقال أحدهما: لى ابن. وقال الآخر: لى بنت. فقال كسرى أنو شروان: أحب أن يكون بينكما قرابة وصله، وأن تزوجا الابن والبنت وتنفقا هذا الكنز فى جهازهما ليكون لكما ولولديكم. ففعلا ما أمرهما وتراضيا بما رسم. والآن لو كان الرجلان فى زمن ملك جائر لقال كل واحد منهما: الكنز لى. ولكنهما لما علما أن ملكهما عادل طلبا الحق وآثرا للصدق.

وقال الحكماء: الملك كالمسوق فكل أحد يحمل إلى السوق ما يعلم أنه نافق. وما يعلم أنه كاسد لا يحمله إلى ذلك السوق.

والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا إلى السلطان علما أن الزهد

والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان وأن الحق له عنده نفاق، فلذلك حملاه إليه وعرضاه عليه .

حكاية

كان لآنو شروان كرم يعرف بهزار، فاجتمع فيه يوماً قيصر ملك الروم ويعفور ملك الهند وآنو شروان. في ضيافة الملك العادل آنو شروان فتكلم كل منهم كلمة حكمة. فقال قيصر: ليس شيء في هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب؛ فإن صاحبه يذكر به دائماً، فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله؟ فقال آنو شروان: تعالوا نحن نفعل الخير ونتفكر في الخير. فقال قيصر: إذا تفكرت في الخير عملت الخير، وإذا عملت الخير نلت المراد فقال يعفور: أعاذنا الله من فكرة إن نحن أظهرناها واستحيينا وإن ذكرناها خجلنا، وإن أخفيها ندمنا. وقال قيصر لآنو شروان: أي شيء أحب إليك؟ فقال: أحب الأشياء إلى أن أقتضى حاجة من أردني لقضاء حاجته. فقال قيصر: أنا أحب أن لا أذنب حتى لا أخاف.

انظر كيف كانت سيرتهم مع رعيّتهم ياسلطان الإسلام. يجب أن نسمع أقوال هؤلاء الملوك وتنظر أعمالهم وتقرأ حكاياتهم في الكتب وما سطر فيها من نعمت عدلهم وإنصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجارى على السنة الخلق إلى يوم القيامة.

كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العدل والسياسة إلى حد أقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات. وكان إذا أنفذ عمالاً إلى أعمال قال لهم: اشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ولا تمدوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين. ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج.

وقال عبد الرحمن بن عوف: دعاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ذات ليلة وقال: قد نزل بياب المدينة قافلة وأخاف عليهم
إذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه. فلما وصلنا قال لي:
نم أنت. ثم إنه أخذ يحرس القافلة طول ليلته.

وقال عمر رضي الله عنه: يجب على أن أسافر لأقضى حوائج
المسلمين في أقطار الأرض، لأن بها ضعفاء لا يقدرّون على قصدي في
حوائجهم لبعده المكان. وينبغي أن أطوف في البلاد لأشاهد أحوال
العمال وأسير سيرتهم فلا يكون في سنيّ عمر أبرك من هذه السنة.

حكاية (١)

قال زيد بن أسلم: رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يطوف مع العس فتبعته وقلت له: أتأذن لي أن أصحبك. فقال: نعم.
فلما خرجنا من المدينة رأينا ناراً من بعيد فقلنا رعاة يكونون قد نزلوا
هناك مسافرين. فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم
يكون. وقد وضعت لهم قدراً على النار وهي تقول: إلهي انصفتي من
عمر وخذ لي منه الحق، فإنه شبعان ونحن جياع. فلما سمع عمر كلامها
تقدم وسلّم عليها وقال: أتأذنين لي أن أدنو إليك؟ فقال: إن دنوت لخير
فبسم الله. فتقدم عمر وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت: وصلت
وهؤلاء الأطفال معي من مكان بعيد وأنا جائعة والأطفال جياع، وقد
بلغني من أجنهم همّ عظيم. وبلغ مني ومنهم الجوع والجهد إلى أن
منعهم عن الهجوع. فقال لها عمر: وأي شيء في هذا القدر؟ فقالت:
تركت فيه ماء لأشاعلهم به ليظنوا أنه طعام فيصبروا إلى حيث يناموا.

(١) وردت هذه الحكاية في سياست نامه نظام الملك، ص ١٦٩ - ١٧٠.

قال زيد بن أسلم: فعاد أمير المؤمنين وقصد دكان بياح الدقيق فابتاع منه ملء جراب ومضى إلى دكان القصاب، فابتاع منه دسماً ووضع الجميع على كاهله ومضى يطلب المرأة والأطفال. فقلت يا أمير المؤمنين أعطني أحمله عنك، فقال: إن حملته عنى فى الدنيا فمن يحمل عنى أوزارى وذنوبى فى الآخرة يوم القيامة. ومن يحول بينى وبين دعاء تلك الحرمة عنى، وجعل يسعى ويبكى إلى أن وصل إلى المرأة. فقالت امرأة جزاك الله عنا خير الجزاء. وأخذ عمر جزءاً من الدقيق وشبثاً من الدسم فوضعه فى القدر وجعل يوقد النار، وكلما أرادت أن تخدم نفخها والرماذ يسقط على وجهه ومحاسنه حتى انطبخت القدر. فوضع الطبخ فى القصعة وأطعم الأولاد والمرأة. فقال لها عمر: أيتها المرأة، لا تدعى على عمر فإنه لم يكن عنده منكم خير.

وأول من دعى بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب. لأن أبا بكر رضى الله عنه دعوه بخليفة رسول الله ﷺ. فلما وصل الأمر إلى عمر كانوا يقولون: يا خليفة خليفة رسول الله. فكان يطول ذلك، فقال: يا أيها المؤمنون سمونى أميراً، فإنى أميركم وإن دعوتونى أمير المؤمنين فأنا ذلك عمر بن الخطاب.

حكاية

سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر فى بيت المال؟ فقال: كان فى أول الأمر إذا لم يكن له شيء يتقوت به أخذ قليلاً برسم القوت. فإذا حصل عنده شيء أعاده إلى بيت المال. وخطب يوماً فقال: أيها الناس قد كان الوحي ينزل فى عهد رسول الله ﷺ فكانا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم وورديهم. والآن قد انقطع الوحي عنا فنحن

ننظر من كل أحد إلى علانيته والله أعلم بسريره. وأنا على العهد وعمالي أن لا تأخذ شيئاً بغير حق ولا تعطى شيئاً بغير حق.

فإن شئت أن نعظم أن عدل السلطان وتقوته سبب لجُميل ذكره ونيل فخره، فانظر في أخبار عمر بن عبد العزيز فإنه لم يكن لأحد من بني أمية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته. ولا يدعى إلا له ولا يثنى إلا عليه لأنه كان عدلاً تقياً كريماً حسن السيرة.

حكاية^(١)

كان في عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب فاختاروا رجلاً منهم لخطابه. فقال ذلك الرجل: يا أمير المؤمنين إنا أتيناك من ضرورة عظيمة وقد بيست جلودنا على أجسادنا من فقد الطعام. وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام: أما أن يكون لله تعالى. أو لعباد الله. أو لك. فإن كان لله فإن الله غنى عنه، وإن كان لعباد الله فأتهم إياه. وإن كان لك فتصدق به علينا. إن الله يجزي المتصدقين. فتفرغرت عينا عمر بالدموع وقال: هو على ما ذكرت. وأمر أن تقضى حوائجهم من بيت المال.

فهم الأعرابي بالخروج فقال له عمر: أيها الإنسان الحر كما أوصلت إلى حوائج عباد الله وأسمعتني كلامهم فأوصل كلامي وارفع حاجتي إلى الله تعالى. فحوّل الأعرابي وجهه إلى السماء وقال: إلهي معزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه في عبدك.

فما استتم الأعرابي دعاه حتى ارتفع غيم فأمطر مطراً غزيراً، وجاء

(١) سياست نامه، المرجع السابق، ص ٨٧.

في المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد مكتوب عليه: هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار.

حكاية

يقال إن عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلاً في قصص الرعية وروزناماتهم في ضوء السراج، فجاء غلام له فحدثه في معنى كان يتعلق بيته. فقال له عمر أطفئ السراج ثم حدثني لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين، فلا يجوز استعماله إلا في أشغال المسلمين.

حكاية

كان لعمر بن عبد العزيز غلام، وكان خازناً لبيت المال. وكان لعمر ابن عبد العزيز ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غداً يوم العيد، ونساء الرعية وبناتهن يلمننا ويقفن أنتن بنات أمير المؤمنين وتراكن عرايا، فلا أقل من ثياب بيض تلبسناها. وبكين عنده فضاق صدر عمر بن عبد العزيز، فدعا غلامه الخازن وقال له: أعطني مشاهرتي من بيت المال سلفاً. فقال الخازن: يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفاً انظر إن كان لك عمر شهر فخذ مشاهرتك. فتحير عمر وقال: نعم ما قلت أيها الغلام، بارك الله فيك. ثم قال لبناته: اكظمن شهواتكن، فإن الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقة.

حكمة

يقال إن الصادقين من الناس ثلاثة: الأنبياء والملوك والمجانين. وقيل: إن السكر جنون وإن المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر. والنويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائماً كما قال الشاعر:

من أسكرته الخمر في سرعة فما عليه إن صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة يصح إذا ما الملك عنه انتقل

والقليل جداً من كان من سكر سلطنته صاحباً، وكان المقدم على
أعماله ثقة أميناً، وكان جليسه نصحاً معيناً. وعلامة سكر السلطان أن
يسلم وزارته إلى محتاج معوز، ثم يستدعيه ويتمسك به إلى أن تزول
 حاجته وتنقضي فاقته، ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثله مثل من يرمى
 طفلاً صغيراً إلى أن يصير بالغاً كبيراً ليصلح للأعمال وقضاء الأشغال ثم
 يقتله ويستأصله.

قيل أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض وهي: إبعاد الأدياء
عن ممالكهم. وعمارة المملكة بتقريب العقلاء. وحفظ آراء المشايخ
وأولى الحكمة والتجربة. وزيادة أمر المملكة بالإقلال من الأعمال
المدسومة.

لما تولى عمر بن عبد العزيز، كتب إلى الحسن البصري، أن أعني
بأصحابك. فكتب إليه الحسن البصري: أما طالب الدنيا فلا ينصح لك.
وأما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته
ولا عملاً من أعماله إلى من ليس لذلك بأهل. فإن سلم الأعمال إلى
ذلك الرجل فقد أفسد ملكه وأهمل أمره وخرّب مملكته وظهر له الخلل
الوافر من كل وجه كما قال الشاعر:

البيت إذا ما حان منه خرابه ظهر التخلخل من أسامر الحائط
وإذا تولى الملك غير رجاله ولوا الأمور لكل قدم ساقط

وينبغي لمن خدم الملوك أن يكون كما قال الشاعر:

إذا خدمت الملوك فالبس من التوقى أعز ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس
وأما من تبسّط مع السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولده. فليس
للانبساط معهم في خدمتهم وجه كما قال الشاعر:

لو أنك للسلطان نجلاً فداره فخف منه إن أحبت رأسك تسلم

٥- في سياسة الوزراء وسيرهم

اعلم أن السلطان يحسن ذكره ويعلو قدره بالوزير إذا كان صالحاً كافياً
عادلاً، لأنه لا يمكن أحداً من الملوك أن يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير
وزير، ومن انفراد برأيه ضل لغيره. ألا ترى أن النبي عليه السلام مع
جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته، أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه
العقلاء العلماء فقال عز من قائل: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (١) وأخبر في
موضع آخر عن موسى عليه السلام: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي ﴾ (٢) هرون
أخي (٣) أشدّ به أوزري ﴿ (٢) .

فإذا لم يستغن الأنبياء عليهم السلام عن الوزراء كان غيرهم من الناس
أحوج.

(١) آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) طه، آية ٢٩ - ٣٢.

وسئل ازدشير بن بابك أى الأصحاب أصلح للملك؟ فقال: الوزير العاقل الشفيق الأمين الناصح، ليدبر معه رأيه ويشير إليه بما فى نفسه. وعلى السلطان أن يعامل الوزير بثلاثة أشياء: أحدهما أنه إذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجل بالمعقوبة. الثانى أنه إذا استغنى فى دولته، واتسع ظله فى خدمته، لا يطمع فى حاله ولا فى ماله وثروته. الثالث إذا سألته فى حاجة لا يتوقف فى قضاء حاجته.

وينبغى أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهى: متى ما اختار أن يراه لا يمنعه عنه، وأن لا يسمع فى حقه كلام مفسد، وأن لا يكتم عنه شيئاً من سره. لأن الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر أحوال المملكة وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيئة والقدرة، وله الكلام على الأعمال واستماع الأجوبة، وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه، وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتمعظيم الأمر. قال كسرى أنو شروان لولده: أكرم وزيرك لأنه إذا رآك على أمر لا يجوز لك، لا يوافقك عليه.

وينبغى للوزير أن يكون مائلاً إلى الخير متوقياً عن الشر. وإذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقاً على العباد كان له عوناً على ذلك، وإذا كان السلطان ذا حنق غير مشفق كان على الوزير أن يكون مائلاً إلى الخير، وإن يوشده قليلاً قليلاً بالطف وجه ويهديه إلى الطريق المحمودة. واعلم أن دوام الملك بالوزير ودوام الدنيا بالملك، وينبغى أن يعلم أنه لا يجوز له أن يهتم بغير الحق ويعلم أنه أول إنسان يحتاج إليه السلطان. سئل بهرام كور إلى كم يحتاج السلطان حتى تتم سلطنته وتنصرم بالسرور مدته؟ فقال إلى سبعة من الأصحاب: الوزير الصالح ليظهر إليه

سره ويسوس أمره، والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة إلى النجاة،
والسيف القاطع والساح الحصين، والمال الكثير الذي يخف حمله ويثقل
ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت، والزوجة الحسنة لتكون مؤنسة لقبه
مزيلة لكربه. والحباز الخبير الذي إذا أمسك شيئاً دبره بلطفه.

حكاية

يقال إن سليمان كان جاساً يوماً على سرير ملكه. وقد حملته الريح
في الجو فنظر بالعجب إلى مملكته وطاعة الجن والإنس وانقيادهم إلى
طاعته وعظيم سياسته. فاضطرب السرير به وهم بالانقلاب. فقال
سليمان عليه السلام للسرير: استقم. فتنطق السرير وقال: استقم أنت
حتى نستقيم نحن كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

وقال أبو عبيدة في أمثاله: من سلك منهج الجدد أمن العثار.
ويجب أن يكون الوزير عناناً عاقلاً شيخاً فاضلاً. لأن الشاب وإن كان
عاقلاً لا يكون في التجربة كالشيخ. والذي يتعلمه الناس من تجارب
الأيام لا يتعلم إلا من المشايخ.

والوزير زين السلطنة، والزين يجب أن يكون صالحاً ظاهراً من
الذين. ويحتاج الوزير إلى خمسة أشياء ليحمد خبره وتحسن سيرته:
التيقظ لينظر في كل أمر يدخل فيه وجه المخرج منه. والعلم حتى تتضح
له الأشياء الخفية. والشجاعة حتى لا يخاف من شيء في غير موضع
الخوف. والمصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح. وكتمان سر السلطان
إلى أن يدركه الموت.

(١) سورة الرعد، آية ١١.

قال أزدشير بن بابك: يجب أن يكون الوزير ساكناً متمهلاً شجاعاً واسع الصدر حسن المقال، مليح الوجه مستحياً صامتاً حيث يحسن الصمت. ومتكلماً إذا أحسن الكلام. ومع ذلك يجب أن يكون الوزير ديناً حسن المذهب، ليطهر نفسه وينفى عنها كل ما لا يحسن من الاعتقاد.

وينبغي أن يكون ذا تجارب ليسهل الأمور على الملك وأن يكون متيقظاً لينظر في عواقب الأمور يخاف عليه من تصارييف الدهور. ويتحفظ أن يصيبه عيب الزمان وكل ملك كان وزيره له محباً وعليه شفيقاً ذلك الوزير كثير الأعداء. وكان أعداؤه أكثر من أصدقائه. ولا يجوز للسلطان أن يسمع في وزيره كلام المحرضين عليه، الساعين به إليه. ويجب أن يكون الوزير محمود الطريقة حتى إذا رأى في الملك خلة مذمومة غير رشيدة رده إلى العادة الحميدة من غير غلظة شديدة، لأن الملك إذا كان على ما لا يريده، وسمع منه ما يكرهه من التقرير عمل شراً من ذلك. والدليل على ذلك أن البارى جلست قدرته لما أرسل موسى إلى فرعون أمره بقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾^(١). فإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يقول لعذوه قولاً ليناً فالتناس أجدر وأولى أن يلينوا مقالتهم. وإن كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز للموزير أن يحقد عليه ويضبط على كلامه في قلبه فإن قدرة الملك تطلق لسانه فينطق بما يريد: وإذا كان الوزير محباً للملك صحيح المقال حسن الفعال كان له عوناً على ذلك وأمره بالملازمة. فلا يجوز له أن يعدد حسناته على الملك ولا يمتن بها عليه.

(١) سورة طه، آية ٤٤.

قال أهل العلم: إذا أحسنت إلى أحد وعددت حسناتك عليه كان شراً من الامتنان عليه تقرّيك له. وينبغي أن يعلم الوزير وسائر الملك، إنه مهما فعلوه من حسن، فإن ذلك بإقْبَانِ الملك وبركة ظله. وأعظم فساد ينشأ في دولة الملك يكون من أمرين: أحدهما من الوزير الخائن. والثاني من نية الملك الرديئة الفاسدة.

قال أبو شروان: شر الوزراء من جرأ السلطان على الحرب وجرأه على القتال في موضع يمكن أن ينصلح الحال بغير حرب، لأن الحرب في سائر الأحوال تفتي ذخائر الأموال، وفيها تبدل كرائم النفوس ومصونات الأرواح. وقال أيضاً: كل ملك كان له وزير جاهل مثله كمثل الغنيم الأذى يبدو ويظهر ولا يندى ولا يمطر.

وفي كتاب أرسطوطاليس، كان أمر يتقضى على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب.

والعلماء يضربون هذا المثل فيقولون: ينبغي أن تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك. وترتيب الوزراء مهما أمكنهم أن يحاربوا بالكتب فليحاربوا، فإن لم تنأت الأمور بالاحتياط والتدبير، فيجهدوا في تأنيها بعطاء الأموال بذل الصلوات والنوال. ومنى انهزم لهم عسكر عفواً عن ذنوب الجند، ولم يستعجلوا بقتلهم لأنه قد يمكن قتل الأحياء ولا يمكن إحياء القتلى. فإن الرجل يصير رجلاً في أربعين سنة، ومن مائة يكون رجل يصلح لخدمة السلطان. وإن أسر أحد من الجند من أصحاب الملك كان على الوزير أن يستفكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه ليعلم الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم إذا باشروا حروبهم.

وعلى الوزير أن يحفظ أرزاق الجند، كل إنسان منهم على قدره. وأن

يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب. وأن يحاطبهم بأحسن كلام،
وبلين لهم في الخطاب، ويلطف بهم الجواب. فإن الجند قد قتلوا كثيراً
من الوزراء في قديم الزمان ومختلف الأعوام.

ومن سعادة السلطان وعين طالعه وتوحده أن يهمل الله له وزيراً
صالحاً ومشيراً ناصحاً. وقال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بأمر خيراً
قيد له وزيراً نصيحاً صادقاً صريحاً، إن نسي ذكره وإن استعان به أعانه.

قال مؤلف هذا الكتاب: إن الله جل اسمه يظهر قدرته في كل حين
وزمان ووقت وأوان، وبصطفى جماعة يختارهم من عباده مثل الملوك
والوزراء وأكابر العلماء ليعمر بهم الدنيا.

ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا
نظير في الكرم والسخاء وبذل المعروف والعطاء. وكان تحت حكمهم أكثر
الولايات الوافرة والمرتفعات، وبعد انقراضهم فسدت أحوال الوزارة،
ولم يبق لخدمة الملوك رونق ولا نضارة إلى أن أوجد الله تبارك وتعالى
بركة آل سلجوق وظل دولتهم إلى النظام، وأوصلهم إلى درجات
الوزراء المتقدمين وأرفع، بحيث لم يبق في الدنيا أحد من أهل الفضل
والأدب وأبناء السبيل الغرباء من شريف ووضع إلى وهو مشمول
ياحسنانهم مغمور بامتنانهم، ولم يكن أحد من خيرهم محروماً. وإنما
ذكرنا هذا ليعلم من يقرأ كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح.

وقال بزرجمهر: لا تقاس الأشياء بعضها ببعض، لأن جوهر الناس
أجل من كل جوهر. وإنما زينة الدنيا جميعها بالناس. والبارى جلت
قدرته لا ينسب إلى الخطأ وهو واهب الصلاح لمن يشاء. وأنه يوتى كل
أحد ما يصلح له ويليق به.

فينبغي أن يكون وزراء الملوك ومدبري دولهم على هذه الصفة، وأن يحفظوا رسوم المتقدمين وطرائقهم. وأن يلتصوا الأسوال التي تؤخذ من الرعية في أوقاتها وأحيانها وعند وجوبها وإتيانها. وليعرفوا الرسم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها وقدر قدرتها. وأن يكونوا في تصديهم كصائح الكركى، لا كقاتلى العصفور. ولا يجوز لهم أن يحرضوا على تناول أموال الموازيت مادام الوارث موجوداً، فانتطمع في ذلك مشؤوم غير جائز. ويجب عليهم استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوائد والنعم، وليعلموا أن كفايتهم وسمو مرتبتهم وصلاحتهم منوط بصلاح الرعية. ليحسن ذكركم في الدنيا وينالوا جزيل الثواب في العقبى.

٦- في ذكر الكتاب وآدابهم

قال العلماء إنه ليس شيء أفضل من القلم لأن به يمكن إعادة السالف الماضي. ومن فضل القلم وشرفه، أن الله تعالى جل اسمه أقسم به. فقال عز من قائل: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾^(٢) الذي علم بالقلم^(٣). وقال رسول الله ﷺ: أول ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقال عبد الله بن عباس^(٤) رضى الله عنه في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليها﴾^(٥). قال

(١) سورة القلم، آية ١.

(٢) سورة العلق، آية ٣ - ٤.

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. أبو العباس ابن عم الرسول. ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات ونشأ في بدء عصر النبوة ولازم النبي، وروى عنه الأحاديث وصدر مرجعاً في الفقه والتشريع سكن الطائف وتوفي بها عام ٦٨هـ / ٦٨٧م.

(٤) سورة يوسف، آية ٥٥.

معناه: ولنى على كنوز الأرض. فانى كاتب حاسب والقلم صانع الكلام. وقال ابن المعتز: القلم معدن والعقل جوهر. والقلم صانع، والحلظ صناعته.

قال جالينوس الحكيم: القلم طيب الكلام. وقال بليانس الحكيم: انقلم طلسم كبير. وقال الإسكندر: الدنيا تحت شيتين: السيف والقلم. والسيف تحت القلم.

والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم، وبه يعرف رأى كل إنسان من قريب وبعيد. ومهما كان الرجل مجرباً للزمان فإنه ما لم ينظر فى الكتب لا يكون كامل العقل، لأن مدة عمر الإنسان معلومة ومعلوم أيضاً أنه فى هذه المدة القريبة والعمر القصير، كم يمكنه أن يدرك بتجربته وكم يحفظ بقلبه. والسيف والقلم حاكمان فى جميع الأشياء، ولولا السيف والقلم لما قامت الدنيا.

وأما الكتاب فلا يجوز لهم أن يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الأكابر.

وقال الحكماء والملوك القدماء: ينبغى أن يكون الكاتب عالماً بعشرة أشياء: الأول قرب الماء وبعده تحت الأرض، ومعرفة استخراج الأثناء، ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما فى الصيف والشتاء، ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب بالأصابع والأقدام، وحساب الهندسة والتقويم، واختبارات الأيام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والأدوية، ومعرفة ريح الشمال والجنوب. ومعرفة علم الشعر والقوافى.

ومع هذا كله ينبغى أن يكون الكاتب خفيف الروح، طيب اللقاء،

عالمًا ببراية القلم وتدبيره وقطعه ورفعته. ومهما كان في قلبه أظهره بسان قلمه، وأن يحرس نفسه من طغيان قلمه.

وينبغي للكاتب أن يعرف أى حروف يجوز مدها، وأى حروف تكون مجتمعة متصلة. وليكتب الخط مبيّنًا. ويعطى كل حرف حقه. كما يحكى أنه كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل فكتب كتاباً إلى عمرو بن العاص، ولم يظهر سين بسم الله الرحمن الرحيم، فاستدعاه عمر وقال له: أظهر أولاً سين بسم الله، ثم توجه بعد ذلك إلى عملك.

وأول ما ينبغي أن يعلم الكاتب براية القلم فإن الإنسان إذا كان يحسن الخط ويقدر أن يبرى قلمه، فإن الخط على كل حال يجيئ صالحاً كما جاء فى الحكاية.

٧- فى سمو همم الملوك

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أجهد أن لا تكون دنى الهمة، فإنى ما رأيت شيئاً أسقط لقدرة الإنسان من توانى همته. وقال عمر بن العاص: المرء حيث وضع نفسه يريد، إن أعز نفسه علا أمره وإن أذلها هان قدره.

وتفسير معنى الهمة أن يرفع نفسه، فإن أنفة القلب من همم الأكابر لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها. ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدرة نفسه. وإعزاز المرء نفسه أن لا يختلط بالإرذال، ولا يشرع فى عمل ما لا يجوز مثله أن يعمله، ولا يقول ما يعاب به. والهمة والأنفة للملوك لأن الله ركب فيهم هذه الخصلة، فليتعلم منهم الوزراء والندماء كما جاء فى الحكاية.

حكاية

يقال إن يحيى بن خالد البرمكى خرج من دار الخلافة راكباً إلى داره، فرأى على باب الدار رجلاً، فلما قرب منه يحيى نهض قائماً وسلم عليه وقال له: يا أبا على أنا محتاج إلى ما فى يدك. وقد جعلت الله وسيلتى إليك. فأمر يحيى أن يفرده له موضع فى داره، وأن يحمل إليه كل يوم ألف درهم، وأن يكون طعامه المختص. وبقي على ذلك شهراً كاملاً. فلما انقضى الشهر، كان قد وصل إليه ثلاثون ألف درهم. فأخذ الرجل الدراهم وانصرف. فقيل ليحيى عن ذلك فقال: والله لو أقام عندى مدة عمره وطول دهره لما منعتة صلتى، ولا قطعت عنه ضيافتى.

حكاية

كان لجعفر بن موسى الهادى جارية عوادة تعرف ببدر الكبرى ولم يكن فى زمانها أحسن منها وجهاً ولا أحذق منها بصناعة الغناء وضرب الأوتار وكانت فى غاية الكمال ونهاية فى الجمال. فسمع بخبرها محمد ابن زبيدة الأمين، فالتمس من جعفر أن يبيعه له فقال له جعفر: أنت تعلم أنه لا يجئ من مثلى بيع الجوارى والمساومة فى السراى، ولولا أنها مزينة دارى لأنفذتها إليك ولم أشح بها عليك.

ثم إنه بعد ذلك بأيام، جاء محمد بن زبيدة إلى داره فرتب له مجلس الشراب وأمر بدرأ أن تغنى له وتطربه، فأخذ محمد فى الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى أسكره، وأخذ الجارية معه إلى داره ولم يمد إليها يده من شرف نفسه وهيمته، ثم رسم من الغد باستدعاء جعفر. فلما حضر قدم بين يديه الشراب، وأمر الجارية أن تغنى من داخل الستارة، فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه وهيمته،

ولم يظهر تغيراً في محاضراته . ثم أمر محمد الأمين أن يملأ الزورق الذي جاء فيه جعفر بالدراهم . فيقال إنه وضع في المورق ألفى بدرة ، وجملتها عشرون ألف ألف درهم ، حتى استغاث الملاحون وقالوا : ما يقدر الزورق يحمل شيئاً آخر ، وأمر بحمله إلى دار جعفر . وهكذا كانت همم الأكابر .

سئل بعض الحكماء من أيسر الناس حالاً؟ قال : من كان أعلاهم همة وأكثرهم علماً وأعذرهم فهماً وأضيقهم حالاً . - قيل : فبمن ينبغي أن يتوصل ليخلص من نحوسة حظّه وضائقة يده . قال : بالملوك والأكابر وذوى الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية . كما قيل : جاور بحراً أو ملكاً . -

حكمة

قال بعض الحكماء : إجلال الأكابر من الكرم وحسن الخلال . واحتقار الناس من لؤم الأصل وقبح الخلال . والهمة بغير آلة خفة ، وإنما الهمة مع الجدّ تجمل وتلطّف وتحسّن وتظرف ، لأن الرجل إذا كان ذا همّة وجدّه غير مساعد ، لم يكن له من همته سوى الانحطاط لأنه يجب أن تكون الهمة علوية واجدّ عالياً وقد قيل أيضاً : الكلام بالدرجة والعمل بالقدر .

حكاية

كان عبد العزيز بن مروان أمير مصر . فركب يوماً واجتاز بموضع ، وإذا برجل ينادى ولده يا عبد العزيز ، فسمع الأمير نداءه فأمر له بعشرة آلاف درهم لينفقها على ذلك المولود الذي هو سميّه . ففشى الخبر بمدينة مصر ، فكل من ولد له ولد في تلك السنة سمّاه عبد العزيز .

ويضد ذلك: كان الحاجب تاش الأمير الكبير بخراسان. فاجتاز يوماً بصيارف بخارى ورجل ينادى غلامه وكان اسم الغلام تاش. فأمر بإزالة الصيارف ومصادرتهم وقال: إنما أردتم الاستخفاف باسمي.

فانظر الآن الفرق بين الحر القرشي والمملوك المسترق بالدرهم.

وفي هذا الباب كلام: كثير إن ذكرناه طال الكتاب. وينبغي أن تعلم أن المهمة وإن تأخرت فإنها توصل الإنسان إلى مراده يوماً من الزمان كما قال الشاعر:

لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب للزاد ما كنت من حاميه أخطيه
أسعى لمجد فلولا صدق معرفتي أنى سادرك ما قد كنت أطلبه

أما المحمود من الرجل أن لا يتجاوز بهمته فوق قدره وقدرته لئلا يعيش معتماً طول حياته ومدته - كما قال مؤلفه:

إن كنت تقنع بالكفاية ثم تكن بالدهر أرفه منك عيشاً فيه
أو كنت بما فوق ذلك طامعاً لم تكفك الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذي يستجيب لنيل ما يبغيه

٨. في الحكمة وما قاله الحكماء

أما الحكمة فإنها عطاء من الله تعالى يؤتيها من يشاء. وقال سقراط مثل من آناه الله الحكمة وهو يغمم للمال كمثل من يكون في صحة وسلامة فيبيعهما بالتعب والنصب.

فإن ثمرة الحكمة الراحة والعلاء، وثمره المال التعب والبلاء. قال ابن المقفع: كان ملوك الهند كتب كثيرة بحيث كان تحمل على الفيلة، فأمرها حكماءهم أن يختصروها، فاتفق العلماء على اختصارها على أربع

كلمات: إحداهما للملوك وهى العدل. والثانية للرعية وهى الطاعة.
والثالثة للنفس وهى الامساك عن الطعام إلى وقت الجوع. والرابعة
للإنسان وهى إن لا ينظر إلى نفسه.

حكمة

قال بعض الحكماء الناس على أربعة: رجل يدري ويدرى أنه يدري،
فذاك عالم فاتبه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ناس
فذكروه. ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل
فاحذروه. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد
فأرشده.

سئل بعض الحكماء فقول: أى شىء أقرب؟ فقال: الأجل. فقيل:
أى شىء أبعد؟ فقال: الأمل. وقال الأحنف بن قيس: شيان لا يتم
معهما حيلة، وإذا أقبل الأمر فليس للإدبار فيه حيلة. وإذا أدبر فليس
للإقبال فيه حيلة. وقال لقمان الحكيم لابنه: شيان إذا حفظتهما لا تبالي
بما ضيعت بعدهما، درهمك لمعاشك ودينك لمعادك.

حكمة

سأل أنو شروان بزرجمهر لأى سبب يمكن أن يجعل الصديق عدواً
ولا يمكن أن يجعل العدو صديقاً؟ فقال: لأن تخريب العامر أسهل من
عمارة الخراب، وكسر الزجاج إذا كان صحيحاً أسهل من تصحيحه إذا
كان مكسوراً. وقال: صحة الجسم خير من شرب الأدوية، وترك الذنب
خير من الاستغفار، وكظم الشهوة خير من كظم الحزن، ومخالفة الهوى
الفسانى بالانكسار خير من دخول النار.

حكمة

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدة سنين، وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهي: من ليس له علم فليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة. ومن ليس له صبر فما له سلامة في دينه ولا دنياه. ومن كان جاهلاً لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فماله عند الله كرامة. ومن لا سخاء له فماله من ماله نصيب. ومن لا نصيحة له فماله عند الله حجة.

حكمة

قال وهب بن منبه في التوراة أربع كلمات مكتوبة: كل عالم لم يكن متورعاً فهو كاللص. وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد. وكل غنى لا يريح بدنه فهو والأجير سواء. وكل فقير يتواضع لغنى لأجل غناه، فهو والكلب سواء.

حكمة

قال بعض الحكماء: أصل الرعاية العطف، وأصل الذنب العجلة، وأصل الذل البخل.

قال الحكيم: ينبغي للإنسان أن لا يكون بقلبه متقدماً وبعادته أبله أي يتجاوز عن الجيد والردئ. وينبغي أن يستمع كلام الحكمة من غير حكيمة، فإنه قد يصيب الغرض من لم يكن رامياً.

حكمة

قال الأحنف بن قيس: لا صديق للول ولا وفاء للكذوب، ولا راحة

لحود، ولا مروءة لذنبي ولا زعامة لسيئ الخلق.

قال ذو الرياستين: اشتكى رجل من خصم إلى الإسكندر. فقال الإسكندر: أتحب أن أسمع كلامك فيه بشرط أن أسمع كلامه فيك؟ فخاف الرجل وأمسك عن كلامه فقال الإسكندر: كفوا أنفسكم عن الناس لتأمنوا أمر أناس السوء.

حكمة

قال بزرجمهر العوافي أربعة: عافية الدين، وعافية الجسم، وعافية المال، وعافية الأهل. فأما عافية الدين ففي ثلاثة أشياء: إنك لا تتابع الهوى، وأن تعمل بأوامر الشرع وأن لا تحسد أحداً. وعافية الجسم في ثلاثة أشياء: قلة الأكل، والإقلال من الكلام، والإقلال من النوم. وعافية المال في ثلاثة أشياء: إطعام البطن، وأداء الأمانة، وإخراج الحق من المال. وعافية الأهل في ثلاثة أشياء: الفناعة وحسن العشرة، وحفظ طاعة الله تعالى.

وستل حاتم الأصم لأي سبب لا نجد ما وجده المتقدمون؟ قال: لأنه فاتكم خمسة أشياء: المعلم الناصح، والصاحب الموافق، والجهد الدائم، والكسب الحلال، والزمان المساعد.

جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال: يا أعلى أقبيل إلى بوجهك وأخلى لى سمعك وقلبك كل وعظ، واجمع وهب وتشدد. فقال على رضى الله عنه: ما معنى هذه الكلمات يا رسول الله؟ فقال: يا أعلى كل الغضب، وغط عيب أخيك، واجمع لذلك القبر الضيق المظلم، وهب ظلم الظالم، وتشدد فى دين الله والإسلام.

حكمة

قال رجل لبعض الحكماء أوصني فقال: انظر قضاءه واطلب رضاه وتجنب جفاه.

حكمة

سئل بعضهم أى شيء يسمى اخلق؟ فقال: كثرة التدبير وليس قدره. ومع الاستكثار لا تزول الحاجة. والعبد يحرص على كل شيء إلا على الفقر فليس يحرص عليه أحد، لأن الخلق كلهم يطلبون الغنى. ولا يحرص أحد على الغم لأن الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرج. ولا يحرص أحد على الموت، لأنهم يحرصون على الحياة.

قال أبو قاسم الحكيم: هلاك العبد فى شيئين: المعصية والانفراد بالرأى.

وقال: بلاء اخلق فى ثلاثة: العلماء المضللون والقراء البله والعوام الحسدة.

وقيل: لا تطلب صحة من طامع ولا تطلب وفاء من خيس الاصل. وقال الحكيم شيتان غريبان: فى هذا الزمان: الدين والفقر. وقال الحكيم: إن حفظت أربعة أحوال كنت من جملة الرجال: إحداهما سرك بحيث يكون إذا علمه الناس رضيت. الثانى علانيتك بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك. الثالث أن تعامل الناس بما لو عامطوك به اخترته لنفسك. والرابع أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها.

حكمة

قال الحكيم: ينبغي أن تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلاثة وهى: أن تنظر إلى

الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر . وأن تنظر إلى الأغنياء بعين التصح
لا بعين الحسد . وأن تنظر إلى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة .

حكمة

قال وهب بن منبه: قرأت في التوراة أن أم المعاصي ثلاثة: الكبر
والحرص والحسد . وإنها نتيجة خمسة أشياء: كثرة الأكل، وكثرة النوم
وراحة الجسم، وحب الدنيا ومدح الناس . وقال: من خلص من ثلاثة
فماواه الجنة وهي: المنة والمؤونة والملامة إذا أحسن لم يمن بإحسانه،
وأن يخفف مؤونته عن الناس، وإذا رأى في أحد عيباً لم يلمه .

حكمة

يقال إن ابن القرية دخل على الحجاج يوماً وكان من أكابر أهل زمانه
فطنه وعلماً فسأله الحجاج وقال له: ما الكفر؟ فقال: البطر بالنعمة
والياس من الرحمة . فقال: ما الرضى؟ قال: القنوع بقضاء الله تعالى
والصبر على المكروه . فقال: ما الصبر؟ قال: كظم الغيظ والاحتمان لما
يراد . فقال: ما الحلم؟ قال: إظهار الرحمة عند المقدرة، والرضى عند
الغضب . فقال: ما الكرم؟ قال: حفظ الصديق وقضاء الحقوق . قال:
ما القناعة؟ قال: الصبر على الجوع والعري عن اللباس . قال: ما العنى
«قال» استعظام الصغير واستكثار القليل . فقال: ما الرزق؟ قال: إصابة
الأشياء الكثيرة بالألة القليلة الحظيرة . فقال: ما الحميدة؟ قال: الوقوف
على رأس من هو دونك . فقال: ما الشجاعة؟ قال: الحملة في وجوه
الأعداء والكفار والشبث في موضع الفرار . فقال: ما العقل؟ قال:
صدق المقال، وإرضاء الرجال . فقال: ما العدل؟ قال ترك المراد، وصحة

السيرة والاعتقاد. فقال: ما الإنصاف؟ قال المساواة عند الدعاوى بين الناس. فقال: ما الذل؟ قال المرض من خلو اليد، والانكسار من قلة الرزق. فقال: ما الحرص؟ قال: حدة الشهوة عند الرجاء. فقال: ما الأمانة؟ قال: قضاء الواجب. فقال: ما الخيانة؟ قال: التراخي مع القدرة. قال: ما الفهم. قال: التفكير وإدراك الأشياء على حقائقها.

حكمة

ثمانية تجلب المدلة على أصحابها وهي: جلوس الرجل على مائدة لم يدع إليها، ومن تأمر على صاحب البيت، والطامع في الإحسان من أعدائه، والمصغى إلى حديث اثنين لم يدخلهما بينهما، ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته، ومن تكلم عند من لا يسمع كلامه، ومن صادق من ليس له بأهل.

٩- في شرف العقل والعقلاء

اعلم أن الله تعالى جل ثناؤه خلق العقل على أحسن حال وقال له: أقبل فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر. فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيئاً أجمل منك. بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب. والدليل على صحة هذا أن الله تعالى جعل في العباد شيئين: الأمر والنهي، وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل من قائل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) وأولو الألباب هم ذور العقول، واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على رأس أجبل لا تصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وأحكامها.

(١) سورة المائدة، آية ١٠٠.

حكمة

مثل حكيم الفرس لم سمي العاقل عاقلاً؟ فقال لأن للعاقل سبع علامات يعرف بها. وهي: أنه يتجاوز عن ذنب من ظلمه. وأن يتواضع لمن دونه. وأن يسابق إلى فعل الخير لمن هو أعلى منه. وأن يذكر ربه دائماً، وأن يتكلم عن العلم، وأن يعلم منفعة الكلام في موضعه. وإذا وقع في الشدة التجأ إلى الله عز وجل. وكذلك الجاهل له علامات وهي: أن يجور على الناس ويظلمهم، ويعسف بمن هو دونه، وأن يتكبر عنى الزعماء والمتقدمين. وأن يتكلم بغير علم. وأن يسكت عن خطأ. وإذا وقع في شدة أهلك نفسه، وإذا رأى أعمال الخير لفت عنها وجهه.

حكمة

قال سعيد بن جبير^(١): ما رأيت للإنسان لباساً أشرف من العقل. إن انكسر صححه وإن وقع أقامه وإن ذل أعزه، وإن سقط في هوة جذبته واستنقذه منها، وإن افتقر أغناه. وأول شيء يحتاج البليغ إليه أن يعلم المزوج بالعقل كما جاء في الحكاية.

حكمة

يقال إنه ما كان في خلفاء بنى العباس خليفة أعلم من المأمون في جميع العلوم، وكان له في كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء، وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون. فدخل بعض الأيام إلى مجلسه رجل غريب عنيه ثياب رثة، فجلس في

(١) أبو عبد الله سعيد بن جبير الكوفي، حشى الأصل، وولد سنة ٦٦٥/٤٥م وتوفي سنة ٩٥هـ/٧١٤م، انظر ترجمته في الزركلي، الأعلام، ٣/ ٩٣.

وأخّر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول فلما ابتدأوا في المسائل، وكان رسمهم أنهم يديرون المسألة على جماعة أهل المجلس. فكل من عرف زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها. فدارت المسألة إلى أن وصلت إلى ذلك الرجل الغريب، فأجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون وأمر أن يرفع من ذلك المكان إلى موضع أعلى منه. فلما وصلت إليه المسألة الثانية، أجاب بجواب أحسن من جوابه الأول. فأمر المأمون أن يرفع إلى أعلى من تلك المنزلة. فلما وصلت إليه المسألة الثالثة، أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين الأولين، فأمر المأمون أن يجلس قريباً منه. فلما انقضت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام. فأكلوا فنهض الفقهاء وخرجوا، فقترب المأمون ذلك الشخص وأدناه وطبّب قلبه ووعدته بالإحسان إليه والإنعام عليه.

ثم عيى مجلس الشراب ونضد. وحضر الندماء الملاح ودارت الراح، فلما وصل الدوّار إلى ذلك الرجل، وقف قائماً على قدميه وقال: إن أذن أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة. فقال: قل ما تشاء. فقال: قد علم الرأي العالي زاده الله علواً أن هذا العبد كان اليوم في المجلس الشريف في مجاهد الناس ووضعاء الجلاس، وإن أمير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذي أبداه جعله معروفاً وأعلى درجته وبلغه الغاية التي لم تسم إليها همته. والآن يريد أن يفرّق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي أعزّه بعد الذلّة وكثرة بعد القلّة، وحاشا وكلا أن يحسد أمير المؤمنين على هذا القدر اليسير الذي معه من العقل والنباهة والفضل لأن العبد إذا شرب الشراب تباعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب منه أدبه، فعاد إلى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلاً، ورجع في أعين

الناس حقيراً مجهولاً. فإن رأى الرأى العالى أن لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضلها وكرمه وسيادته وحسن شيمه، فعل ذلك متطولاً وأنعم متفضلاً.

فلما سمع المأمون منه هذا الكلام مدحه وشكره وأجلسه فى رتبته وورقه وأمر له مائة ألف درهم، وحمله على فرس وثياب تجمل، وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة وأعلى منزلة.

وإنما أوردنا هذه الحكاية لأجل نعت العقل، لأن العقل يوصل صاحبه إلى كل درجة عالية ومرتبة سامية. وإن الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبطه من علو مكاته.

حكمة

وقيل لبزرجمهر أى شىء من الأشياء لابد للإنسان منه ولا مندوحة له عنه فقال: العقل. فقيل له: ما قدر العقل؟ فقال: شىء لا يوجد فى أحد تاماً كيف يعرف قدره؟

وقال بعض الحكماء: جميع الأشياء مفتقرة إلى العقل. والعقل يفتقر إلى التجربة. ولا غنى أعز من العقل ولا فقر أشد من الجهل. وكل من كان علمه أوفر كانت حاجته إلى العقل أكثر والمرء فى هذا كراع ضعيف معه قطع كبير يضرب للعالم الذى لا عقل له.

وقال العلماء العقل أمير وله جنود، وجنوده التمييز والحفظ والفكرة والفهم. وسرور الروح بالعقل لأن به ثبات الجسم. والروح سراج نوره العقل. ثم ينسبط فى جميع الجسد. والعامل لا يغتم أبداً لأنه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم لما لا يجوز مثله الاهتمام.

سئل عبد الله بن المبارك^(١): العقل خير أم الأدب؟ فقال: العقل.
ف قيل له: ما العقل؟ فقال: تعلم العلم، والعمل بالعلم أن تعلم أنه
ينبغي أن تعمل، والعقل أنك إذا علمت عملت.

حكمة

سئل ابن عباس، العقل خير أم الأدب؟ فقال: العقل. لأن العقل
موهبة من الله، والأدب تكليف من العبد.

حكمة

قال رسول الله ﷺ: ما قسم الله لعباده خير من العقل. ونوم
العقل خير من عبادة الجاهل. والعافل المفطر خير من الجاهل الصائم
وضحك العاقل، خير من بكاء الجاهل.

حكمة

قال رجل لأقليدس أستويج أو أتلف روحك؟ فقال: أنا لا أستريح
حتى أخرج الحقد من قلبك.

حكمة

قال الحكيم: كما تفوح من الميتة الرائحة المنتنة، كذلك تفوح من
الجاهل نتونة الجهل، فتضر به وبجيرانه وأقاربه.

(١) هو عبد الله بن مبارك الباهلي. أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد
التاجر، صاحب التصانيف. ولد سنة ١١٨ هـ. من أب تركي، كان مولى لرجل من التجار من
بنى حظلة من أهل همدان. كان كثير النضائل وانتائب وصف بالحفظ والزهد والكرم
والشجاعة وأجمع العلماء على قبوله وجلالته إمامته وعذله. وتوفي بهيت سنة ١٨٠ هـ. ما:
البدية والنهاية، ج ١٠، ص ١٧٧ وما بعدها. الأعلام، ٤، ص ١١٥. شذرات الذهب، ج
٤، ص ٢٩٥.

حكمة

سئل حكيم ما انعقل؟ فقال: العقل سداد وعقد بين ثلاثة وعشرين شيئاً. فلولا هذه العقود لاختلط الجيد بالردئ.

أولاً هو عقدة بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والفكر، وبين الحذر والتهور، وبين الكرم والبخل، وبين حسن الخلق والقباحة، وبين التواضع والتكبر، وبين الصداقة والعداوة، وبين المدح والذم، وبين العلم والجهل، وبين الحياء والوقاحة، وبين الحق والباطل، وبين الرزاة والخفة، وبين الظلمة والضياء، وبين الكرامة والذلة، وبين الطاعة والمعصية، وبين ذكر الله والغفلة، وبين النصيحة والحسد، وبين السنة والبدعة، وبين الرحمة والقساوة، وبين الإسلام والغفلة، وبين اليقين والشك، وبين الحكمة والحكم.

قال صاحب الكتاب: جميع محاسن الناس في العقل، وسائر العنوم والأعمال مرجعها إلى العقل كما جاء في الحكاية.

حكمة

روى أن الريح حملت كرسى سليمان وجعلت تسير به، فلاح لسليمان بلد فأمر الريح أن تحطه، فرأى على باب البلد مكتوباً: أجرة اجتهاد يوم درهم، والحسن والجمال في يوم أجرته مائة دينار، وعلم ساعة واحدة لا تخصي قيمته.

وجميع الأشياء منوطة بالعلم. والعلم أسير الرأي. والتدبير والرأي مع العقل توأمان. من أعطاه الله تعالى انعقل فقد أتاه خيراً كثيراً كما قال الشاعر:

إن كنت من أصل جوهر منسوب أو يوسف في الحسن ولد يعقوب
ما أنت تفقد عقلك المحبوب في الناس سوى محقر معيوب
نتعلم أيها الاخ كنه العقل ونفاسته وعلو قيمته، فيجب عليك أيها
العاقل الحمد والشكر لو اهب العقل وهو الباري جدت قدرته.

١٠- في نعت النساء وذكر ما فيهن من خير

قال رسول الله ﷺ: خير النساء وأبركهن الحسناء الولود الخفيفة
المهر. قال عليه السلام: عليكم بالمرأة الحرة فإنها أطهر وأبرك.
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: التجنثوا إلى الله تعالى من شر
النساء، واحذروا أمر خيارهن.

وقال صاحب الكتاب: من أراد صلاح دينه وتدبيره ولم يجد المرأة
الحسنة ليلهو بها فعليه بالمرأة الدينية، فذات الدين خير وأبرك. وإذا
جاءت الديانة أتى المال لأن المرأة التي لا دين لها فما لها أصل ولا معها
بركة. وبركة الديانة يوجد كل خير كما جاء في الحكاية.

حكمة

كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم، وكان رئيس مرو
وقاضيه، وكان له نعم كثيرة وحال موفورة، وكان له بنت ذات حسن
وجمال وبهاء وكمال، فخطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوى النعمة
والثراء فلم ينعم بها لأحد منهم، وتخير في أمرها، لم يعلم لأيهم
يزوجها وقال: إن زوجتها فلانا أسخطت فلانا. وكان له غلام هندي
دين تقى اسمه مبارك، وكان له كرم عامر كثير الأشجار والفاكهة
والثمار، فقال للغلام: أريد أن تمضى وتحفظ الكرم. فمضى الغلام وأقام

فى الكرم شهرين، فجاء سيده فى بعض الأيام إلى الكرم فقال له:
 يامبارك ناولنى عنقود عنب، فناوله عنقوداً فوجده حامضاً. فقال سيده:
 اعطنى من غير هذا، فناوله عنقوداً حامضاً أيضاً فقال سيده: ما السبب
 فى أنك لا تناولى من هذا الكرم الكبير إلا الحامض؟ قال لأنى لا أعلم
 الحامض من الحلو. فقال سيده: سبحان الله لك مدة شهرين مقيم
 بالكرم ولا تعرف الحامض من الحلو؟ فقال: وحقك أيها السيد: إنى ما
 ذقته ولا أعلم حامض هو أو حلو. فقال له سيده: لم لا تأكل منه؟
 فقال: لأنك أمرتنى بحفظه ولم تأمرنى بأكله، فما كنت أخونك،
 فتعجب منه القاضى وقال: حفظ الله عليك أمانتك.

وعلم القاضى أن الغلام غزير العقل. فقال له القاضى: أيها الغلام
 قد وقع لى فيك رغبة، ويتبغى أن تفعل ما أمرك به. فقال مبارك: أنا
 مطيع لله ولك. فقال القاضى: أعلم أن لى بنتاً جميلة وقد خطبها كثير
 من الأكابر والمتقدمين، ولا أعلم لمن أزوجها فأشر على بما ترى؟ فقال
 الغلام: إن الكفار فى زمان الجاهلية كانوا يريدون الأصل والنسب
 والبيت والحسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفى عهد
 رسول الله ﷺ كانوا يطلبون الدين والتقوى، وفى زماننا فالناس
 يطلبون المال. فاخترت الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد؟ فقال له
 القاضى: ياغلام قد اخترت الدين والتقوى، وأريد أن أزوجك ابنتى لأنى
 قد وجدت فيك الصلاح والديانة، وجربتك فى التقوى والأمانة. فقال
 الغلام: أيها السيد أنا عبد رقيق هندى أسود كيف تزوجنى بابنتك
 وترضانى، وقد ابتعنى بمالك؟ فقال له القاضى: قم بنا إلى البيت لنُدبر
 هذا الأمر.

فلما صاروا إلى المنزل قال القاضي لزوجته: اعلمي أن هذا الغلام الهندي دين وتقى، وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتي فما تقولين؟ فقالت: الأمر إليك، ولكن أمضى وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها. فجاءت الأم إلى الصبية، فأدت إليها رسالة أبيها فقالت: مهما أمرتاني به فعلته ولا أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعانجكما بالمخالفة بل أبركما. فزوج القاضي ابنته بمبارك وأعطاهما مالاً عظيماً. فأولدها مبارك ولدأ سماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم عبد الله بن المبارك، صاحب الزهد والعلم ورواية الحديث، ومادامت الدنيا فالحديث عنه يروى.

نعم أيها الأخ إذا تزوجت فأطلب ذات الدين ولا تطلب ذات الصيت والمال. فإن المال يعود وبالاً، ولا تعطيكه المرأة. فإذا أردت أن تطلب الزوجة فلا تطلبها لأجل بنوع الشهوة، بل أطلبها بنية أنها دينة وصالحة لتكون في حذرِكَ وضاعتك وتكون لك سترًا من النار.

حكمة

نزل بعبد الله بن المبارك بعض الأيام عشرة أضياف من العلماء، ولم يكن عنده ما يضيفهم به. وما كان يملك سوى فرس كان يحج عليها سنة ويغزو سنة، فذبح الفرس وضح منها وقدمه بين يدي الأضياف. فقالت له زوجته: ما كنت تملك من الدنيا غير هذا الفرس فلم ذبحتها فدخل سريعاً إلى بيته وأخرج من متاع البيت بقدر مهرها وطلقها في ساعته ووقته. وقال: امرأة تبغض الأضياف لا تصلح لى. فاتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له: يا إمام المسنمين لى بنت وقد توفيت أمها وهى كل يوم تمزق دستاً من الثياب حزناً وغماً، واليوم تريد أن تقصد مجلسك، فقل

فى تسليتها شيئاً لعل رقى قلبها. فلما جلس على المنبر ذكر فى هذا الباب ما تسلت به الصبية عن أمها، فلما عادت إلى البيت قالت: يا أبت قد تبث ولا أعود أسخط الله سبحانه وتعالى ولكن لى إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أنت تقول لى دائماً أن أبناء الدنيا يخطبونك وأرباب الاموان يطلبونك، فناشدتك الله لا تزوجنى بغير عبد الله ابن المبارك فإننا إن كان لنا دين فله دين.

فزوجها أبوها بعبد الله بن المبارك وحمل إليه جهازاً كبيراً ومالاً كثيراً، وأنفذ إليه عشرة أفراس ليجاهد عليها فى سبيل الله. فرأى عبد الله فى بعض النبألى فى منامه قائلاً يقول له: إن كنت طلقت من أجلنا امرأة عجوزاً فقد أعطيناك صبية بكرأ وإن كنت ذبحت فرساً واحدة لأضيافك فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضها، لتعلم أن الحسنة عندنا بعشرة ولا يضع لدينا أجر المحسنين، وما عاملنا أحد فخر ولا يخسر كما جاء فى الحكاية.

فصل

قال صاحب الكتاب^(١): عمارة الدنيا وتنازل بنى آدم بالنساء والعمارة لا تصلح بغير رأى ولا تدبير. وقيل شاوروهن وخالفوهن. ويجب على الرجل الفاضل المتيقظ أن يحتاط فى خطبة النساء وطلبهن، وليزوج البنت لاسيما إذا بلغت لثلا يقع فى العار والعيب ومرض القلب.

(١) أى الإمام الغزالى.

المحتويات

الصفحة	
٧	تقديم
١١	اللوحة رقم ١ (أ)
١٢	اللوحة رقم ١ (ب)
١٣	اللوحة رقم ٢
١٥	زيادة التبر المسبوك في نصيحة الملوك المعروف بنصيحة الملوك
١٩	١. ذكر أصول شجرة الإيمان
٢٤	٢. ذكر فروع شجرة الإيمان
٤١	٣. بيان العينين اللتين بهما مشرب شجرة الإيمان
٤١	العين الأولى
٤٨	٤. في العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم
٦٠	٥. في سياسة الوزراء وسيرهم
٦٦	٦. في ذكر الكتاب وآدابهم
٦٨	٧. في سموهم الملوك
٧١	٨. في الحكمة وما قاله الحكماء
٧٧	٩. في شرف العقل والعقلاء
٨٣	١٠. في نعت النساء وذكر ما فيهن من خير